رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2235) السنة التاسعة
الاحد (28) آب 2011

أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

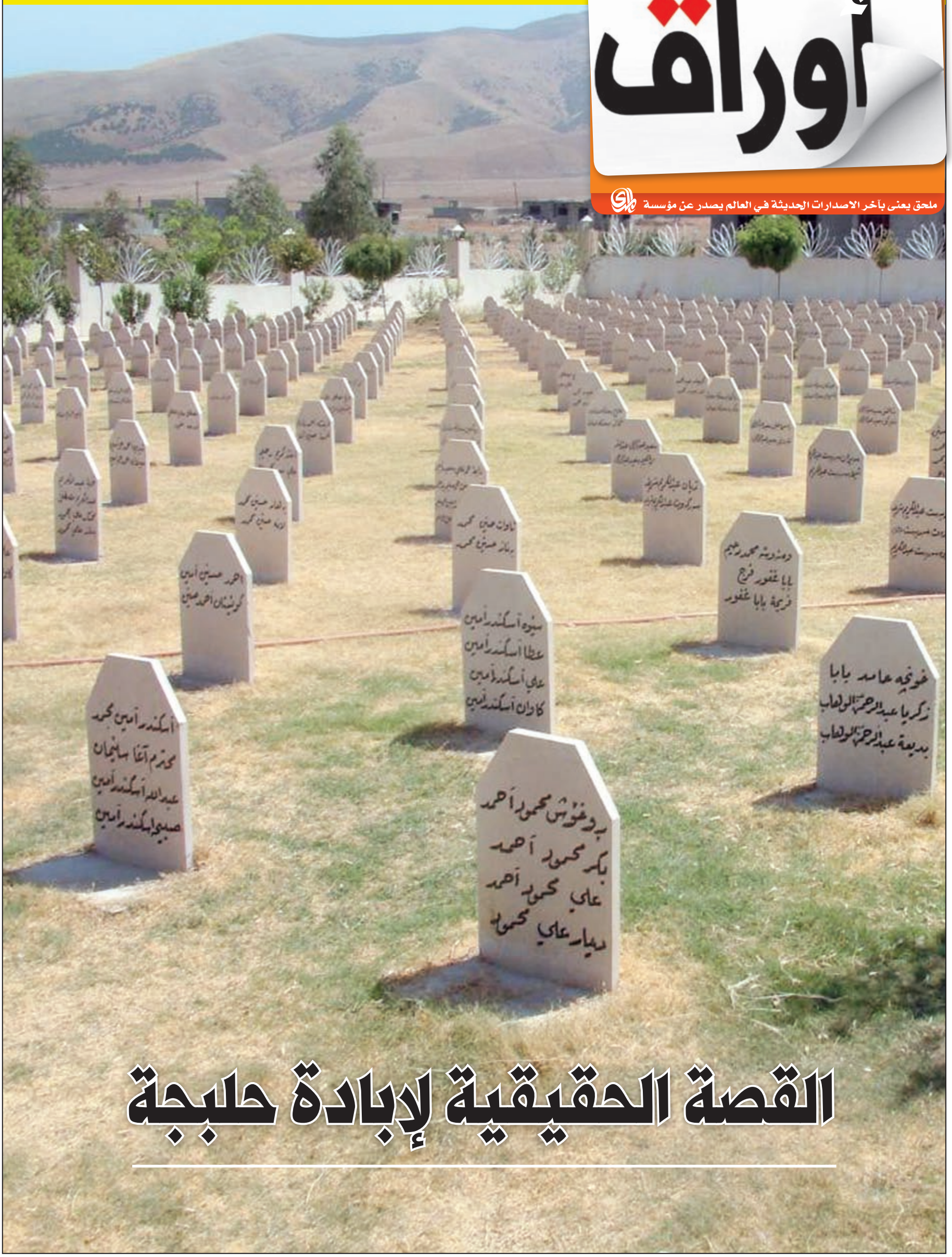

القصة الحقيقية لإبادة حلبجة

«حياة دون كيخوته وسانتشو».. قراءة في سيرة البطل المضاد

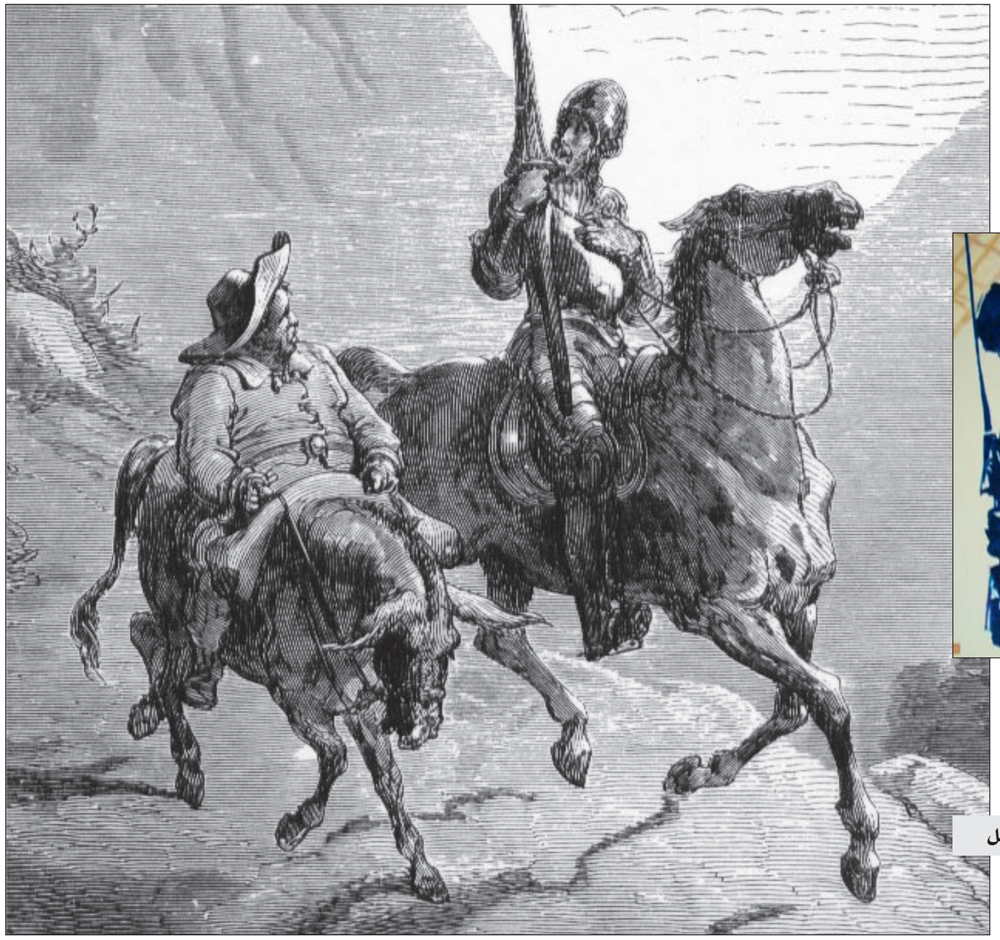

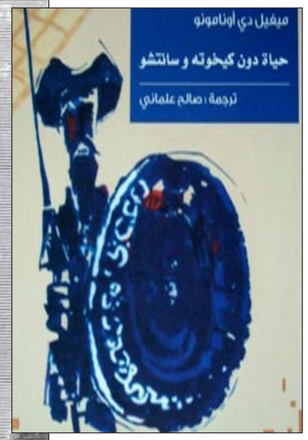

عرض: سامر إسماعيل

يندرج كتاب «حياة دون كيخوته وسانتشو» للكاتب الإسباني ميغيل دي أونامونو في إطار السيل الجارف من النصوص النقدية التي حاولت تفسير شخصية الدون كيخوته وتابعه سانتشو بانثا بطلي رواية الكاتب الإسباني سيرفانتس حيث شهدت الأربعمئة سنة الأخيرة التي تلت صدور الرواية العديد من الدراسات والمقالات والأطروحات التي سعت لتقويم هذا العمل الأدبي العظيم. وكان كتاب وفلاسفة وأدباء كل عصر يفهمون الدون كيخوته على طريقتهم فيبرزون طبيعته الساخرة من كتب الفروسية ووظيفته التهكمية من عادات معينة وموقفه في الدفاع عن المثل العليا وتقويم الاعوجاج فضلاً عن التركيز على طبيعة العمل الروائية الواقعية التي دشنت مسار الرواية العالمية بمفهومها الحديث.

وفي هذا الاتجاه يأتي كتاب أونامونو المنشور لأول مرة عام ١٩٠٥ في الذكرى المئوية الثالثة لصدور رواية ثربانتس حيث سبقه في إسبانيا بتلك المرحلة كم هائل من الأدب التجديدي الإصلاحي ساهم أونامونو نفسه في إثرائه في ما بعد بصورة متوالية وحاسمة عبر أعمال ومقالات مهمة حول فيها دون كيخوته إلى مركز تأملاته حول أسباب انحدار الإسبان وسباتهم والبحث عن حلول للخروج من ذلك الوضع جاعلاً من الدون كيشوت مثلاً لفارس الإيمان بمثل نشر العدالة والمحبة. ويقول صالح علماني مترجم الكتاب عن الإسبانية في مقدمة الكتاب الصادر حديثاً عن "دار رفوف" بدمشق انه من أجل فهم دقيق لهذا الكتاب ولطروحات أونامونو فيه فلا بد للقارئ من العودة مجدداً إلى أجواء المرحلة التي كتب فيها هذا الكتاب أي مرحلة ما بعد هزيمة إسبانيا في مواجهتها مع الولايات المتحدة عام ١٨٩٨ والتي انعكست على كافة مستويات الحياة اليومية الإسبانية فكان هناك اختلال توازن هائل جرى التعبير عنه على المستوى الفكري من خلال كتاب "جيل ٩٨" الذين عكسوا في أعمالهم احتضار الكارثة الاستعمارية والغم الوجودي لموضوع إسبانيا.

ويوضح علماني على صفحات الكتاب أن مركز تأملاته حول أسباب انحدار الإسبان والواقع إلا صورة ذاتية يقدمها أونامونو لنفسه مزينة بمجموعة من القيم كالإيمان والشجاعة والجنون والعاطفة كي يعرض نفسه للقارئ كمثال حيوي خاص بأونامونو قبل أن يكون لثربانتس ويؤكد أنامونو في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه أن إصداره "حياة الدون كيخوته وسانتشو" توافق مصادفة وليس عمداً مع الاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة لطباعة الكيخوته أول مرة إذ يجب عدم فهم كتابه على أنه "عمل بمناسبة الذكرى المئوية".

ويهرب أونامونو في كتابه "حياة دون كيخوته وسانتشو" من الطريقة التقليدية في قراءة عمل ثربانتس التي سار عليها التجديديون من أبناء جيله ففي لجوئه إلى طرح أسطورة الكيخوته لم يتبع أونامونو الدروب التي خطها غيره من التجديديين الإصلاحيين إنما استفاد من شخصية الكيخوته بصورة أساسية ليجدد نفسه في دور المثقف المصمم في تلك الفترة على لعب دور البطولة.

وينطلق أونامونو في تأملاته حول شخصية الكيخوته من إنكار أي مغزى موضوعي في كتاب ثربانتس ويبقي خطابه موجهاً حصرياً إلى ذاتية القارئ فنراه ينطلق في خطابه على الدوام من تجربة واردة في الكتاب ترفع لديه إلى مقولة فلسفية ثم تحول إلى نظرية وأخيراً في حركة ثالثة يتحول اهتمام النص إلى الحياة.

يذكر أن كتاب "حياة دون كيخوته وسانتشو" يقع في ٣٢٤ صفحة من القطع المتوسط ورواية ثربانتس من أهم الروايات العالمية التي تلقت في القرن التاسع عشر دفعة كبيرة حولت الكيخوته إلى أسطورة من خلال ما قدمه الرومانسيون الألمان من قراءات مثالية للكتاب وسعت من انتشاره عالمياً. ودون كيخوته هو الشخصية الرئيسية التي تمنح العنوان لرواية الكاتب الإسباني ميغيل ثربانتس الصادرة بعنوان.. "قصة النبيل العبقري دون كيخوته دي لا مانتشا" حيث كان صدورها أول مرة في جزأين الأول منهما عام ١٦٠٥ بينما صدر الجزء الثاني بعد عشرة أعوام في العام ١٦١٤ وتعتبر رواية ثربانتس من أوسع الكتب قراءة في العالم فقد تحول بطلها "دون كيخوته" مع مرور الزمن إلى أسطورة ونموذج للمغامر المثالي المناضل ضد الظلم.

-سانا-

رواية السيرة الذاتية: دراسة في التأصيل والتشكيل

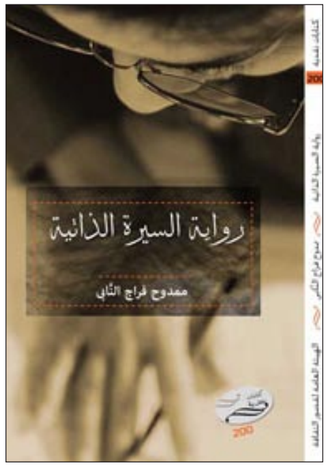

من منطلق ما أفرزته النظرية الأدبية عن جنس الرواية واعتبارها نوعاً مفتوحاً، وفي بعض الأحيان جنساً لا شكل لها، إلا أن هذا لم يمنع من اعتبارها في بعض الأحيان أصولاً تاريخية لأنواع مثل (الملحمة / الخطابة / السيرة / الرحلة) وغيرها من أنماط السرد الأدبي.

والعجيب أنه مع هذه الأهمية إلا أنها لم تأخذ تعريفاً جامعاً يحدُّ من مسألة التداخل حيث صارت بهذه المرونة والانفتاح واحدا من الأجناس الأدبية التي تآخمت مع حدودها أجناس أدبية مختلفة، فتداخلت الرواية مع السيرة وغيرها من الأجناس القريبة كالمذكرات واليوميات، وفي ظل هذه الحالة بدأت النظرية الأدبية تنظر للأجناس المتداخلة مع جنس الرواية كجنس مستقل، فظهرت مسميات كثيرة تحت عباءة النظرية.

في ضوء هذه الإشكالية جاء هذا الكتاب والصادر حديثاً، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية، عدد ٢٠٠ كتاب رواية السيرة الذاتية: دراسة في التأصيل والتشكيل للناقد ممدوح فراج النابي. ويقف الكتاب عند المنطقة الوسطى التي سمحت بإمكانات خروج أنواع وليدة تحمل من صفات الجنس المستقلة عنه، وفي ذات الوقت لها سمات مستقلة، تحدو بها لأن تكون بذاتها جنساً مستقلاً. كما يتناول الكتاب بالتحليل مصطلح رواية السيرة الذاتية، هذا المصطلح الذي أخذ أشكالاً عدة حسبما أرتأى النقاد، فهو تارة السيرة الذاتية الروائية، وأخرى الرواية السيرية، وإن كان المؤلف أرتضى مصطلح رواية السيرة الذاتية ويعرفها بـكل عمل فني متخيّل تتقابل فيه [الأنا الساردة]مع [الذات المستعادة]جزئياً أو كلياً بحيث ينهض – أساسا – على التجربة الذاتية والوقائع والأحداث، بعد صياغتها فنياً في إطار [تخييلي روائي] ويمكن للقارئ من خلال قرائن ميثاقية أن يتحقق من التشابهات و الأصداء، دون حاجة إلى اعتراف أو إقرار من المؤلف.

كما تناول المؤلف في الباب الأول الذي جاء تحت عنوان تداخل الأنواع وتوالد السرد، علاقة الأجناس الأدبية ببعضها البعض كتفاعل الرواية مع غيرها، وعلاقة الرواية بالسيرة الذاتية، والنتاجات الروائية الأولى واستثمارها للتجارب الذاتية في العالمين الغربي والعربي، وأسباب نشأة المصطلح التي ردها المؤلف إلى صعوبة تحقق السيرة الذاتية في العالم العربي، نتيجة الخجل والحياء اللذين هما سمة من سمات المجتمعات الإسلامية والشرقية، وبالتالي انتفاء الشرط الرئيسي لكتابة السيرة الذاتية وهو الصدق الذي يتنافى مع الحياء. كما تطرق الكتاب إلى مرونة النوع الأدبي التي أتاحت الفرصة لخلق أنواع جديدة في المنطقة الوسط يسعى هذا الكتاب. ضمن جملة الأهداف التي حدَّدها – لاكتشاف ملامح نوع أدبي جديد، تولّد عن نوع الرواية، التي استقر الرأي. منذ نشأتها . على أنها جنس أدبي مفتوح، وقابل لكافة أشكال التفاعل أو التداخل، التي فرضتها طبيعة النوع، التي وُصفت بأنها مرنة ومع تولد هذا النوع الجديد رواية السيرة الذاتية، عن نوع الرواية، إلا أنه يطمح. هذا النوع الوليد الهجين. لأن يكون نوعاً أدبياً مستقلاً، يقف بسماته المائزة – التي يفترض البحث والباحث أن تكون هكذا، تفرقه عن كافة الأجناس القريبة مثل الرواية أو السيرة الذاتية – بطرائقه السردية التي ينتهجها، وخصائصه الأسلوبية. وأيضا بدوافع الكتّاب الذين يميلون إليه دون غيره من الأنواع السردية القريبة.

ومن ثم يتأسس الكتاب، في ضوء ما سبق، على مجموعة من الفروض / والتساؤلات التي تحيط بعلاقة الرواية، والأجناس القريبة من خلال إمكانية التفاعل بينها، وبين غيرها هذا من جانب، كما تتصل هذه التساؤلات بمفهوم النوع الجديد (رواية السيرة الذاتية)، وميثاقه الذي يُخرج ما لا صلة له بهذا النوع من حدود. من جانب ثان. كما ترتبط هذه الفروض / والتساؤلات بملامح العلاقة بين رواية السيرة الذاتية، ورواية المرأة، ورواية الغربة، ورواية السجن. ومدى إمكانية هذه التمثيلات، استيعاب هذا النوع، وأيضا القدرة على تمثيله، من جانب ثالث . وكذلك تتعلق هذه الفروض / والتساؤلات، من جانب رابع، بالمكونات الفنية والسمات الأسلوبية، التي تسمُ هذا النوع، وتفرقه عن الأجناس القريبة، مثل الرواية أو السيرة الذاتية. ومن هذه المكونات، دراسة وضعية الراوي في الكتابة السير ذاتية، وأيضا دراسة الزمن وطبيعته داخل الخطاب السيري، وكذلك دراسة السرد وطرائقه داخل بنية رواية السيرة الذاتية وأخيراً دراسة وضعية المروى له، ودرجة حضوره داخل النصوص، مادة الدراسة.

وقد جاء الكتاب. بناء على ما تقدم (اختبار الفروض والتساؤلات) في بابين أساسيين: الباب الأول: تداخل الأنواع الأدبية، وتوالد السرد. وقد احتوى على فصلين الأول: التشكيل السير ذاتي، وتحولات الذات وحدود النوع. وناقش فيه المؤلف مباحث عديدة هي (الرواية وتفاعلها مع الأنواع، السيرة الذاتية وتداخلها مع الرواية، مفهوم رواية السيرة الذاتية، الرواية واستثمار التجارب الذاتية، رواية السيرة الذاتية وتداخل الأنواع، تمثيلات ونماذج لرواية السيرة الذاتية، وأخيراً اهتم الفصل بمناقشة تحولات الذات، وتحولات الواقع عبر المتخيل السردي). ونهض الفصل الثاني من الباب الأول: الميثاق وقرائن العقد السير ذاتي على التفرقة بين الميثاق السير ذاتي، والميثاق الروائي، ففي الميثاق السير ذاتي يجب الإقرار من قبل المؤلف بأن النص سيرة، في حيان في رواية السيرة يكون الغياب والنفي قرينة، ثم تطرّق لدراسة القرائن الدالة على ماهية النوع، باعتبارها علامات / إشارات تشي ببعض التوجيهات / لانتماء النص للجنس السيري.

أما الباب الثاني، فقد جاء بعنوان المكونات الفنية في رواية السيرة الذاتية، وكان بمثابة اختبار للفروض السابقة من خلال تحليل النصوص، وانقسم الباب إلى فصلين الأول أنماط التشكيل في رواية السيرة الذاتية، درس خلاله أنماط / أشكال (الرواية، السيرة الذاتية، السير الروائي، اليوميات، الحلقات القصصية، النص الرحلي). وأختتم هذا الفصل بدراسة تمثيلات الكتابة السير ذاتية، وناقش فيه علاقة رواية السيرة الذاتية برواية المرأة، ورواية الغربة، وأخيراً رواية السجن.

أما الفصل الثاني من (الباب الثاني) فجاء بعنوان بنية رواية السيرة الذاتية، ودرس خلاله تحليل بنية رواية السيرة الذاتية، في ضوء العناصر الأساسية مثل (الشخصيات، ووضعية الراوي، والسرد وطرائقه، والزمن وطبيعته، وأخيرا المروى له ودرجة حضوره).

هكذا سعى المؤلف للوقوف على حدود نوع أدبي، أضحى الآن رائجاً لكثير من المبدعين حيث تصبح الذات موضوعاً للكتابة، وقد تكون في أحيان كثيرة ملاذاً للخلاص والنجاة ولا نقول تحقيقاً للوجود كما أرادها الكثير من الكتاب بمختلف أجناسهم ذكورا أو إناثا، فكانت كتابة الذات كرقش لهذه الذات، في النهاية نقول إن أصل هذا الكتاب هو رسالة دكتوراة تقدم بها المؤلف لقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة، ونال عنها مرتبة الشرف الأولى تحت إشراف الأستاذ الدكتور طه وادي رحمه الله والدكتور أحمد عبد العزيز، والناقد الدكتور حسين حمودة.

ترجمة المجموعة الشعرية «فندق الغرباء» ليواخيم سارتوريوس

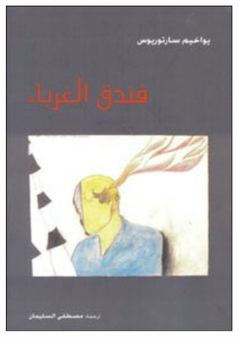

صدرت عن مشروع كلمة للترجمة في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ترجمة مجموعة شعرية جديدة للشاعر الألماني المعروف يواخيم سارتورويس بعنوان <فندق الغرباء>.

وقد نقله إلى اللغة العربية الأستاذ مصطفى سليمان، ويأتي هذا الإصدار مواصلة لمسيرة المشروع في ترجمة الشعر الغربي إلى العربية متيحا للقارئ العربي أن يستشرف تلك الإطلالة على العالم الشعري لهذا الشاعر، بكل ما فيه من جدة وإبداع وإدراك إنساني فياض، فقد نشر له ما يزيد على اثني عشر كتاباً بين شعر ونثر وأربع ترجمات مهمة.

تقع الترجمة فيما يزيد على ٧٩ صفحة، وتتضمن ٤٤ قصيدة بينها ٤ قصائد لم تنشر قبل الآن من تراث قسطنطين كفافي التي كان لها وقع خاص في حياة الشاعر، ويتجلى في نصوص الكتاب الجمع المتميز والرائع في البناء الشعري المحكم لمدارس مختلفة على صعيد الصور الشعرية المدهشة من جهة، والغوص في التأملية من جهة ثانية. كما نجد في هذه المجموعة الشعرية الكثير من الألم والصبر وتحمل الصعاب، لذا فهي تجربة مليئة بالحياة اليومية التي يحيا بها الإنسان في أي مكان على الكرة الأرضية دونما اختلاف، إنما بلغة وصور تعبيرية مكثفة مليئة بالمسؤولية وإدراك ما يجتاح القلب وما يحتاجه من كلمات للتعبير وكأنه يصرخ من خلال نصه بما يشعر به وما يعانيه وما يعيشه، ففي قصيدة <في أثناء الكتابة يقول> <غائب أنت يا موتي على الطاولة دفاتر ومسبحة كتب وبلاطة لامعة من سمرقند حاسوب محمول>.

وفي القصائد أيضاً نجد إبحارا مرهفا في مشاعر الحب والوله والعشق، حتى تبدو وكأنها قصيدة واحدة للحبيب والغزل لما تضمنته من صور شعرية ورقيقة مفعمة بالامل وبالحب، والغناء لجماليات الحياة بعيداً عن متاعبها وهمومها اليومية وكأنه هروب منها إلى العالم الافتراضي الجميل المليء بالفرح وبكل ما هو هادئ ورومانسي، فيقول في احدى قصائده: من الحب الذي كان لك: مرة اخرى تدخل يدك في المعنى كان صمت وصمت لا يزال، تسمع الألوان التي ليست في القالب وحده>.

كما تحضر المرأة في قصائد الشاعر الألماني يواخيم سارتوريوس دون تصنع أو تكلف متنقلاً بتجربة الكتابة عن المرأة من مستوى المكون الجزئي إلى المستوى الذي غدت فيه محوراً للتجربة كلها، مع مخالطة المجموعة الشعرية للهم الذاتي الذي استخلصه الشاعر للتعبير عن صورة المرأة الحبيبة، كما وتسيطر الحركة والإيقاع الجميل على نصوص ديوانه التي تتمحور في سعي المحب نحو حث الخطى تجاه المحبوبة بمشاعر صادقة بعيدة عن أي مشاكل يومية. والشاعر يواخيم سارتوريوس شاعر ألماني تنقل في مختلف بقاع الأرض والتحق بمدرسة في تونس والكونغو والكاميرون وحصل على الثانوية العامة من مدرسة في بوردو بفرنسا ودرس الحقوق في ميونيخ ولندن وشتراسبورغ وباريس، ثم عمل في السلك الدبلوماسي الألماني، كما أنه عضو في الأكاديمية الألمانية للغة والشعر وكذلك في مجلس جائزة السلام لمؤسسة تجارة الكتاب الألمانية.

أمّا مترجم الكتاب فهو مصطفى سليمان ولد في عام ١٩٦٠ في الأردن، يعمل منذ ست سنوات أستاذاً للترجمة الفورية في جامعة يوهانس غوتنبريغ ماينتز/ ألمانيا، قام بترجمة العديد من الكتب الألمانية إلى اللغة العربية. كما ترجم من اللغة العربية إلى اللغة الألمانية وآخر ما نشر له هي انطولوجيا العربية إلى اللغة الألمانية، نشرت في إحدى أرفع دور النشر الألمانية، كذلك له العديد من الدراسات المنشورة باللغات العربية والألمانية والفرنسية حول أدب المهجر العربي في ألمانيا ومنها أحد أهم المراجع في اللغة الألمانية حول هذا الموضوع.

يندرج كتاب المؤلفة فاطمة المحسن "تمثّلات النهضة في ثقافة العراق الحديث" (منشورات الجمل، بيروت- بغداد ٢٠١٠، ٤٥٦ صفحة من القطع المتوسط)؛ ضمن الكتب القليلة والهامة في آن، التي تتعاطى مع موضوعة تكوين دولة العراق الحديث. لكن الكتاب اياه يستقي اهميه مضافة، كونه يتناول، ايضا، اشكالية النهضة عشية ذلك التكوين، وهي فترة كانت على الدوام، تمثل حقبة زمنية معتمة ومشوبة بالضبابية، لجهة ندرة تناولها من قبل الباحثين. ومعلوم ان القراءة الموضوعية لتشكل الكيان العراقي الحديث، تستوجب معرفة وتقييم ارهاصات ما قبل التشكل، ليتسنى فهم الاحداث التى اقترنت بظهور العراق الحديث، وادراك فعالية تلك الاحداث وتأثيراتها في تكريس وجه البلد الجديد ومساره التطوري. بعبارة آخرى، ثمة ترابط متين، يكاد يجمع عليه كثر من المهتمين، بين اللحظة التاريخية لنشوء الدولة العراقية الحديثة، وما قبلها؛ ما يجعل من دراسة الفترة الاخيرة، امرا مطلوبا، وضروريا.

عشية تكوين الدولة العراقية الحديثة:

النهضة وتمثلاتها في الثقافة

عرض: د. خالد السلطاني

إن واقع الحال، المنطوي على نقص فادح في الادبيات التي تأخذ على عاتقها، اضاءة تلك المرحلة المنسية، اضاءة عميقة وشاملة وجدية، يجعل من شأن صدور كتاب فاطمة المحسن، حدثاً معرفيا غاية في الاهمية. نحن، اذاً، امام دراسة جادة، تتعقب جذور النهضة، وتشكل الوعي الجديد في الثقافة العراقية. وهذه الدراسة، التي هي باعتراف المؤلفة، "..نتيجة سنوات طويلة، انفقتها على جمع المعلومات، وأرشفتها وتحديد أولوياتها، ساعدتني على أن أتعلم كيفية التخلي عن الكثير منها، كي يمسك القارئ بزبدة المادة دون أن يتشتت في بحر من المعلومات والمصادر الكثيرة، فالذي يهمني قبل كل شئ أن تكون المادة مفهومة، وقابلة لفتح الباب أمام أسئلة وقراءات جديدة.." .ص. ١٢.

لا ادعي ان قراءتي كتاب "تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث" ، تدخل في باب التقييمات الجازمة والقاطعة لما اجترحته المؤلفة. فالكتاب، اساساً، يهتم في الجانب السوسيولوجي لفهم الاحداث التي تتعاطى معها المؤلفة، وهو جانب، بالطبع بعيد عن اختصاصي. لكن نصه الذي يشي بـ "قراءات جديدة" ومتنوعة، والتي تظهر حيوية الكتاب، وثراءه المعرفي، قد تغوى المتلقى الى انجاز قراءة ذاتية وخاصة به. وبحكم اهتمامي العميق بموضوعة "تمثلات" النهضة العراقية..معمارياً، ومنكب منذ امد طويل في محاولة رؤية الحدث المعماري الحداثي، (الذي ظهر بظهور العراق الجديد) وادراكه، وهو يعمل تحت تأثير بانوراما من تآلف مجموعة علوم مختلفة، يضمنها بالطبع الجانب السوسيولوجي. فالعمارة الان، تفهم، وكما اشرت في مكان آخر، "خارج اقانيم علم الجمال الكلاسيكي، التي سادت سلطته في الخطاب الفلسفي لفترات طويلة...وبالتالي اضحى من الضرورة بمكان التعاطي مع العمارة.. بوصفها وليد اشتراطات معرفية عديدة ومتباينة في اختصاصاتها يضمنها المعارف البيئية والتاريخية والانثروبولوجية وعلوم الاجتماع وحتى ..الاقتصاد السياسي.." . (خالد السلطاني، تناص معماري، دمشق ٢٠٠٧، ص ١٨-١٩). من هنا، اذاً، يمكن ان فهم ذلك الشعور المفعم بالغبطة لدى القراء والمهتمين على حد سواء، لمناسبة صدور كتاب جدي ورصين مثل: "تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث".

تتطلع المؤلفة ان تكون اشكالية تمثلات النهضة وهو موضوع كتابها الاساس، مسردة ومغطاة عبر مجموعة من العناوين التي وزعتها على فصول الكتاب البالغ عددها تسعة فصول. ويتلمس القارئ من خلال اطلاعه على تلك العناوين على جدية مسعى المؤلفة لاضاءة موضوعها على قدر كبير من الموضوعية والشمولية. اذ تبدأ الفصل الاول بتحديد المفاهيم وتمثلاتها: النهضة والثقافة في العراق الحديث. يليه الفصل الثاني المكرس لتواريخ افتراضية للنهضة العراقية. في حين اقتصر الثالث على المثقف العراقي، اما الرابع فهو مخصص للاصلاح الاسلامي، والخامس الى حركة الافكار، تشكل الوعي الجديد. والسادس: النهضة واقنعة الأدب؛ والسابع مكرس الى الأدب الشعبي والنهضة، والثامن، معنون عسر الولادة والتكوين الثقافي، وفيه تتناول المؤلفة الى تسميته باسم القيم في عراق مطلع القرن العشرين، والثقافة المحجبة، التي بها تعني قضية المرأة في ادبيات النهضة. واخيرا الفصل التاسع، المكرس الى الرواد، وهم نخبة من المثقفين الذين اصطفتهم المؤلفة ليجسدوا، وفقا لرؤاها، تمثلات النهضة ولواءها الذي رفعوه عاليا في ربوع العراق الحديث.

ثمة ملاحظتان عموميتان، اراهما اساسيتين، يمكن لهما ان يسما كتاب فاطمة المحسن، بطابع خاص، بل واتجاسر واقول بطابع متفرد ..ايضاً. وهما، اولا، لغة الكتاب المتقاة لنصه، والتي جاءت مفرداته على درجة عالية من البلاغة والجمالية والفصاحة، ما اضاف الى متعة حضور الافكار الزاخر بها الكتاب متعة القراءة المشوقة لذلك النص الجميل. وتذكرني جماليات اسلوب كتاب فاطمة المحسن، مرة اخرى، على مصداقية مقولة احد الفلاسفة، (وهو هربرت ماركوز)، من ان تأثير الفعل المضاد للمضمون الفكري، لن يكون كذلك، مالم يتخذ الاخير شكلا صادقا وقويا ومؤثرا، والمهم ينطوي على جمالية آسره، تكون قادرة على خلخلة السائد "المعرفي" وثوابته!. من هنا، يغدو تدفق الافكار الجديدة الحافل بها الكتاب، يكتسي قوة مضافة جراء انثيال "تمثلاتها" بلغة شفيفة وطازجة وعذبة، يدهشنا، كيف تمكنت فاطمة المحسن، بلوغ هذا المستوى من التعبير!.

اما الملاحظة الاخرى، فتخص موقف المؤلفة ونزوعها للارتقاء الى حالة من التعالي المعرفي المترع بالانفتاح الفكري، عند تعاطيها مع القضية الطائفية، القضية التي تحضر حضورا بليغا في ذلك المجتمع، الذي تسعى المؤلفة وراء دراسته سوسيولوجيا، والتعرف على آليات عمله وتفكيكها، لجهة تأشير تمثلات النهضة، التي تؤلف موضوعة الكتاب. فموقفها الموضوعي، المشوب بالحيادية العلمية، يتيح لها رؤية الحدث الطائفي لدى الفريقين المشكلين للمجتمع، وهو يعمل كأداة معرقلة ومثبطة لتجليات النهضة لدى النخب والعامة على حد سواء. ورغم ان اسم المؤلفة يشي بانتماء محدد الى طائفة معينة، فانها استطاعت، في رأيي، ان تتسامى عن ميدان "معترك" الانتماءات الطائفية، وتتغاضى في الوقت عينه عن حيل وخدع ادعاءاتها، فضلاً عن مقدرتها النأي بعيدا عن ممارسة ايجاد مسوغات تبرر افعال طائفة ضد أخرى.

تتوق المؤلفة، الى التعاطي مع موضوع كتابها، ضمن منهجية بحثية، ابتدعتها لمتنها الكتابي، والتي جسدتها عناوين الفصول. ونقرأ في ثنايا الكتاب، من ان تأثير الفعل المضاد للمضمون الفكري، لن يكون كذلك، مالم يتخذ الاخير شكلا صادقا وقويا ومؤثرا، والمهم ينطوي على جمالية آسره، تكون قادرة على خلخلة السائد "المعرفي" وثوابته!. من هنا، يغدو تدفق الافكار الجديدة الحافل بها الكتاب، يكتسي قوة مضافة جراء انثيال "تمثلاتها" بلغة شفيفة وطازجة وعذبة، يدهشنا، كيف تمكنت فاطمة المحسن، بلوغ هذا المستوى من التعبير!.

اما الملاحظة الاخرى، فتخص موقف المؤلفة ونزوعها للارتقاء الى حالة من التعالي المعرفي المترع بالانفتاح الفكري، عند تعاطيها مع القضية الطائفية، القضية التي تحضر حضورا بليغا في ذلك المجتمع، الذي تسعى المؤلفة وراء دراسته سوسيولوجيا، والتعرف على آليات عمله وتفكيكها، لجهة تأشير تمثلات النهضة، التي تؤلف موضوعة الكتاب. فموقفها الموضوعي، المشوب بالحيادية العلمية، يتيح لها رؤية الحدث الطائفي لدى الفريقين المشكلين للمجتمع، وهو يعمل كأداة معرقلة ومثبطة لتجليات النهضة لدى النخب والعامة على حد سواء. ورغم ان اسم المؤلفة يشي بانتماء محدد الى طائفة معينة، فانها استطاعت، في رأيي، ان تتسامى عن ميدان "معترك" الانتماءات الطائفية، وتتغاضى في الوقت عينه عن حيل وخدع ادعاءاتها، فضلاً عن مقدرتها النأي بعيدا عن ممارسة ايجاد مسوغات تبرر افعال طائفة ضد أخرى.

تتوق المؤلفة، الى التعاطي مع موضوع كتابها، ضمن منهجية بحثية، ابتدعتها لمتنها الكتابي، والتي جسدتها عناوين الفصول. ونقرأ في ثنايا الكتاب، من ان المؤلفة ستعتمد تأثيرات "الفعل، والفاعل الاجتماعي" ، في قراءة الواقع الثقافي سوسيولوجياً. واذ تشير، الى ان استخدام هذين المصطلحين سيردان في مواضيع كثيرة من الكتاب، فانها تسعى وراء توضيح اهميتهما ودورهما في تلك القراءة، وتحيل القارئ (ص ٣٥) الى كتابات "ماكس فيبر" واخرين لتأكيد مسعاها. لكننا، او هكذا بدا الامر لنا، لم نر لهما اية اشارة او ذكر لاحقا، وتم تجاهلهما في مسار قراءتها السوسيولجية لموضوعها.

في تناولها لاحداث المجتمع، الذي سبق تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١، تنزع المؤلفة الى تسميته باسم "العراق"، مستعيرة في هذا، اسم الكيان السياسي الذي سيظهر لاحقا. لكن حدود اراضي ذلك المجتمع لم تكن واضحة، مثلما لم تكن محددة؛ وبالتالي يصعب الحديث عن خصائص مجتمع، يفترض به ان يكون سلفاً لمجتمع آخر. والحال، وكما هو معروف، فان العراق المستقبلي، قد تشكل اساساً من "تجميع" ثلاث ولايات، طبقاً للتقسيم العثماني، وهي ولاية البصرة وولاية بغداد والحقت به ولاية الموصل في ما بعد (١٩٢٦). ولم تدخل مساحة تلك الولايات بصورة آلية في تشكيل حدود وكيان العراق. فمساحة ولاية البصرة، على سبيل المثال، لم تقتصر على مناطق البصرة المعروفة الآن؛ وانما كانت تمتد عمقا ووسعا، جنوبا وشرقا وغربا، في الاراضي المتاخمة لـ "خليج البصرة" (التسمية التي تم ازالتها، بدون مبرر، من المعجم الجغرافي للمنطقة). وثانيا، ان الجيش البريطاني الذي دخل "البلاد"، لم يكن يعرف اسم المناطق التي احتلها على وجه التحديد. وظل يستعير اسمها من تسميتها الاغريقية القديمة، "ميسوبوتاميا" Mesopotamia ، والتي تعني "بلاد مابين النهرين"؛ لحين "نحت" (مس غيرترود بل)، اسم (العراق- IRAQ في تهجئة (Q)، وليس في (K) كما هو الشائع في اللغات الاوربية)، بعد اتفاقيات سايكس – بيكو (١٩١٦). معلوم ايضاً، ان خرائط العراق المقدمة الى "سايكس- بيكو" كانت ثلاث خرائط، بمساحات متباينة وبتشكيلات مختلفة. احداهما يطل العراق المستقبلي، بمساحة ضيقة، على البحر الابيض المتوسط في مكان يقع مابين شمال فلسطين المحتلة وجنوب لبنان الحالي، بدلا من اطلالته المتواضعة ذاتها على خليج البصرة في خريطة ثانية، (التي اعتمدت لاحقا للعراق الحديث). اما الثالثة فاتسمت على مساحة اصغر ومن دون اطلالة بحرية!!. وكل هذا يجعل من خصوصية مجتمع تلك الاراضي المتباينة في المساحة والمختلفة في السكان، امراً غاية في التنوع والتعقيد، ويجعل من مهمة استقصاء تمثلات النهضة فيه، مهمة متحركة ومعومة؛ وبالتالي، من الصعب بمكان، ان تختزل تلك الخصائص بتسمية محددة، تكون قادرة على التدليل الى منطقة جغرافية معينة.

ابتهجت كثيرا، وانا اقرأ الفصل الثامن، الذي يتناول، في جانب منه، التمدين وصراع القيم في عراق مطلع القرن العشرين. انه فصل اراه هاما، فهو يتعاطى مع الاشكالية العمرانية في فضاءات مدن ما قبل تشكل الدولة الجديدة. وهي فترة مشوبة بالغموض تخطيطيا ومعماريا، ومن هنا تنبع اهمية دراستها وتأشير انجازاتها ومن ثم تقييمها. كما تستقي تلك الاهمية حضورها ايضا من جدة وغزارة المعلومات العديدة التي يتضمنها النص المكتوب، من جهة، ومن اسلوب الطرح المفاهيمي لتلك الاشكالية من جهة أخرى. واعترف بانني استفدت كثيرا من مسعى المؤلفة الجاد في ايراد اقتباسات عديدة تخص هذا الشأن، ولاسيما الاقتباسات المطولة نسبيا التي اوردتها المؤلفة من نصوص منسية لمحمود شكري الألوسي، (ص. ٢٩٠-٢٩٣)، ومن غيرهم من الكتاب الذي تناولوا تلك الاشكالية من وجة نظرهم الخاصة. ولا يسعني، هنا، الا ان احيّ اجتهاد المؤلفة وحسها البحثي الرصين في التعاطي مع موضوعها علىى قدر كبير من الجدية والموضوعية العلمية. لكن هذا الاعتراف، لا يمكنه ان يسوغ عدم الاشارة، فيما ذهبت المؤلفة اليه من رأي، مبدية تعاطفا معه، بان المعيار الوحيد (الصحيح؟) لتحديد مفهوم المدينة، هو ذلك المفهوم الذي تحدده "مسطرة" المعيار الغربي، والذي يشخصه ماكس فيبر وغيره من الكتاب، هم الذين كادوا ان يمثلوا مرجعية معرفية وحيدة لها. (ص. ٢٧٨-٩). فذلك المعيار الذي تورده المؤلفة عنهم، هو في احسن الحالات، ليس سوى اجتهاد من جملة اجتهادات ابستمولوجية متداولة في نظرية التمدين والعمران. بل واذهب بعيدا في القول، الى خطل النتيجة التي توصل اليها فيبر وآخرون، في ما يخص عمران المدينة الشرقية، التي رؤوا مجتمعها بانه محض مجتمع ابوي وعشائري وطائفي، ما جعل المدن الشرقية ان "تبقى خارج التعريف المحدد لفكرة التمدين" (ص.٢٨٧). وهو امرٌ، فضلاً عن عدم صحته، فانه يتبدى لي "مترعاً" في اوهام "المركزية الاوربية" Eurocentric المتعالية وإدعاءاتها الجازمة، التي توحي بيقينية لا تقبل التشكيك. وبالطبع، فان مثل هذا التصريح، يمكن بسهولة دحضه من خلال الاستشهاد بنوعية الخطط العمرانية لمدن شرقية عديدة، سواء تلك التي تأسست إبان القرون المماثلة لعهد الظلمات الاوربي، او التي يعود تخطيطها الى القرون الوسطى، مثل الكوفة وسامراء واصفهان، وسمرقند وبخارى وبلخ ولاهور ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وفاس ومراكش واسطنبول، وغيرها من المدن الشرقية العديدة، والتي تعد ابداعاتها العمرانية والمعمارية المميزة،الآن، كنوزاً للثقافة الانسانية. لا تشير المؤلفة لا من قريب ولا من بعيد في كتابها، الى "حدث" تأسيس (جامعة آل البيت) في بغداد عام ١٩٢٢، كاحد الاحداث النهضوية والثقافية الهامة واللافتة في تاريخ البلاد. صحيح ان واقعة انشاء الجامعة تمت في فترة لاحقة عن الحقبة التي تركز عليها المؤلفة انظارها، لكن الافكار التحديثية التي بموجبها تأسست الجامعة، وما اريد لها ان تكون مشروعا تصميميا طموحا ورائداً في آن؛ (فجامعة آل البيت، هي الحدث الثاني في سجل ظهور المؤسسات الاكاديمية في عموم البلاد العربية، الحدث الاول، كما هو معروف، كان في مصر عندما تأسست جامعة فؤاد (القاهرة لاحقا) قبل عقد ونيف عن تأسيس الجامعة العراقية)، فضلا عن برنامجها الثقافي المتنوع، ؛ كل ذلك يرفع من مقام حدث انشاء الجامعة، ليضحى الحدث الثقافي الابرز في تمثلات النهضة بعيد تأسيس الدولة العراقية، ويجعل منها ومن حضورها اللافت في المشهد الثقافي العراقي كمؤسسة اكاديمية رصينة، باعثا للدرس والاهتمام من قبل المهتمين، وخصوصاً من قبل المؤلفة التي تطمح عبر قراءتها الخاصة، الى تأشير "تمثلات" النهضة في ثقافة البلد الذي تشكل حديثاً.

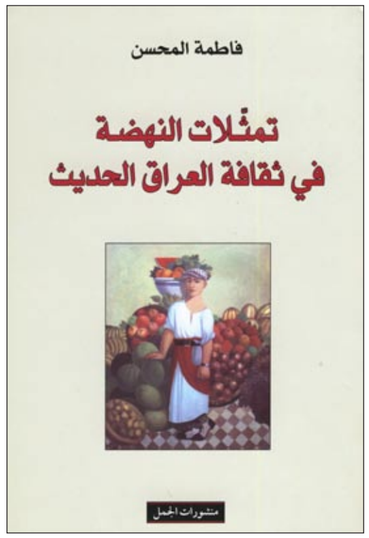

سررت شخصياً، لاطلاعي على اسم "هبة الدين الشهرستاني" حاضرا كاحد الشخصيات المؤثرة التي اصطفتها المؤلفة، واعتبرته رائداً من رواد عصر النهضة العراقية، هم الذين تناولتهم الكاتبة في متابعة لسيرتهم "..من خلال نتاجاتهم وأفكارهم ومصائرهم الشخصية"، كما تقول في مقدمة كتابها (ص.١٢)؛ وتضيف بان "هذا المبحث يحاول التوقف تفصيلاً على مآلات تلك الفترة من خلال النماذج الفاعلة فيها". تشير فاطمة المحسن، وهي على حق، بان كثيراً من المؤلفات عن ادب النهضة قد اهملت "..اسم هبة الدين الشهرستاني، وبقى تاريخه وتاريخ مجلته العلم، الصادرة عام ١٩١٠، شبه مجهولين عند متابعي الاتجاهات الفكرية الحديثة في العراق. ومع ان بعض الدراسين، وبينهم على الوردي، اعتبر الشهرستاني ظاهرة لافتة في مدينة مثل النجف، غير ان الانتباه إلى هذه الظاهرة وربطها بتحولات عصر التحديث في العراق، لم يتحققا إلا مؤخراً، بنشر عدد من الكتب التي تعُرف به." (ص.٣٤٥).

ولعل الادوار المتنوعة، التي اداها هبة الدين الشهرستاني في المشهد الثقافي العراقي، تدلل على اهمية الرجل وتبين اهمية الاهداف التي توخاها، والآمال والقاضي والمتاب والمغامر سياسيا والمصلح الديني"، كما تذكرنا المؤلفة، عن طبيعة الانشطة لهذه الشخصية المؤثرة، ذات الطموحات الكبيرة، المهتمة في "نشر الافكار الحديثة داخل حلقات الدرس الديني، وضلوعه في مغامرات السياسة والصحافة، التي حرمته من منصب روحاني مرموق، فقد كان مرشحاً للمرجعية العليا، كما يقول جعفر الخليلي، ولكنه ضحى بها من اجل غاياته التنويرية". (ص. ٣٤٨). بالطبع ليس في نيتي اختزال ما اوردته المؤلفة، في كتابها عن سيرة هبة الدين الشهرستاني، بدءا من من لقبه المميز الذي يعود، وفقا لدراساته، الى اصول عربية، وينسبه الى زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب، والى ولادته في سامراء ونشاطه التنويري في كربلاء والنجف ولاحقا في بغداد. فكل ذلك موضح ومسرود في لغة فاطمة المحسن العذبة في كتابها اياه. لكني احتفظ بحادثة طريفة "جمعتني" مع اسم هبة الدين الشهرستاني.

وخلاصتها، باني نشرت دراسة عن العمارة في عراق مابين الحربين، في نهاية السبعينات. وفيها اتيت على ذكر المهندسين السوريين الذين عملوا في تلك الحقبة وبضمنهم "بدري قدح" المهندس الذي صمم دوراً للنخبة العراقية في الثلاثينات بالاضافة الى تصميمه الى كلية فيصل في الاعظمية. واضفت اسم "هبة الدين الشهرستاني" الى تلك القائمة، معتقدا بانه سوري، وفقا لمعلومات، حصلت عليها تشير الى اسم قريب الى اسم الشهرستاني، وتبين لاحقا بانها غير صحيحة. وفي احدى المناسبات الفنية التي كانت تمور بها بغداد السبعينات، اعترضني شخص، متسائلا مني بصيغة لا تخلو من طيبة، عن موجبات "جعلنا عائلة سورية، في حين اننا عراقيون؟!". لم افهم في البداية مقصده، وعندما شعر بحيرتي، سارع في تذكيري باني اشرت الى ذلك في دراستي المعمارية المنشورة، وقال مصححا بان هبة الدين الشهرستاني احد العراقيين النشطاء، واحد رجال الدولة العراقية المرموقين، ووزير معارفها في العشرينات، وانا المتحدث معك ..ابنه.

بالطبع اوضحت له الالتباس الحاصل، واعتذرت منه كثيرا للخطأ الفادح الحاصل في الدراسة. وقد تبين لي بان هذا الرجل ذا الثقافة العالية، الذي تحدث معي، وبات احد اصدقائي، سبق وان عمل مع اول معمار عراقي خريج مدرسة ليفربول في الثلاثينات وهو "احمد مختار ابراهيم" ، وكان مصدري للكثير من المعلومات التي تخص سيرة المعمار العراقي الاول، والذي لا يعرف الكثيرون عنه، وعن انجازاته. رغم انه اسمه ارتبط بتصميم مجمع النادي الاولمبي في الاعظمية في ١٩٣٩، وفي تصاميم عديدة... لكن ذلك بالطبع حكاية آخرى!.

وظللت منذ تلك الحادثة، اتعقب سيرة الشهرستاني، متابعا اعماله ونشاطه الثقافي، واجدا ، كما وجدت فاطمة المحسن، ايضا، فيه، شخصية نافذة عملت الكثير لجهة نشر الافكار التنويرية وتوسيع مدارك الثقافة في بلد لايزال يعاني كثيرا ندرة اؤلئك الرجال الافذاذ، من طبيعة "هبة الدين الشهرستاني".

كنت سابقا من المتابعين لقراءة مقالات فاطمة المحسن، وخصوصا تلك التي كانت تنشرها في جريدة "الحياة". واجدا فيها دقة الملاحظة والمقدرة على ايصال افكارها للمتلقين بيسر ووضوح، فضلا بالطبع على عذوبة لغتها المميزة. الآن، نحن، ازاء باحثة قديرة، استطاعت ان تضئ جانبا مهما ومنسيا من " تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث"، وان تعيد، عبر كتابها المهم والقيم، الحافل بالمعلومات والافكار، قراءة تاريخ دولة العراق.. الذي يجهل معظم مواطنيه الكثير عنه !.

د. خالد السلطاني
مدرسة العمارة / الاكاديمية الملكية الدانمركية للفنون

«كش دبان» .. قصص تلتقط الواقع بكاميرا من على ظهر ذبابة

عرض : اوراق

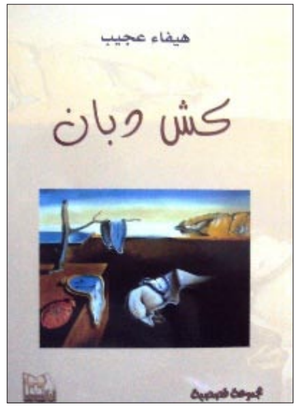

تختار القاصة السورية هيفاء عجيب الواقع كبنية سردية لمجموعتها القصصية «كش دبان» داجمةً بين لغة اليومي وتفاصيله لنحت أكبر كمية من المفارقات متجاوزةً فن القصة القصيرة إلى ما يشبه سيناريوهات أدبية خاطفة تغرف من لغة الحياة معيدةً إليها بريقاً شعرياً خاصاً.

وتحيل الكاتبة عجيب رؤيتها الأدبية إلى ما يشبه مونولوجات مطولة راوية إياها بضمير المتكلم ما يمهد لتناغم قرائي بينها وبين القارئ، ففي قصة «غنم غنم» التي تفتتح بها مجموعتها الصادرة عن دار النايا بدمشق تؤرشف الكاتبة لما يشبه حيوات موازية لحياة حقيقية قوامها الحلم والرغبة في البوح المحض عن مذكرات منزلية تقترب في بوحها من مرارة وسخرية عالية من واقع يزخر بالوقائع المؤلمة.

وتلجأ عجيب في قصصها إلى أسلوب القص ذي الحبكة الدرامية النمطية ووفق تقطيع زمني متصاعد للتعبير عن شفافية الزمن ودوره في فعل السرد مستفيدةً من مونتاج أدبي لحكاياتها عبر توظيف أكبر طاقة ممكنة من الوصف والتعبيرية الأنثوية عن الأماكن والأشخاص والأزمنة كما في قصصها «فرسان المؤتمر- مدينة المعارض متبعة في ذلك لغة هينة وبسيطة للدلالة على مناخات سردية تحيل القارئ إلى بيئة العمل القصصي كوحدة مقطعية مغلقة على أحداثها ومنتهية كمصائر يكون فيها الواقع كاتباً بامتياز

وتيرم الكاتبة عجيب بين عدة سير أدبية تجعلها متتابعة في قصص تبدو وكأنها قصة طويلة واحدة فهي البنت المنتظرة لخطيبها في «غنم غنم» والكاتبة أو الخبيرة التنموية في «فرسان المؤتمر» والزوجة المتبرمة من زوجها الجلف في «كيف تصبحين مثقفة في خمسة أيام» والموظفة الخائبة الحظ في «كش دبان» وهي الأم صاحبة الذكريات في قصتها «كان اسمه دفتر تيليفون».

ويعطي هذا التقارب السردي للمجموعة نوعاً من الروائية المتقطعة لحياة موازية تعيشها الكاتبة من خلال عوالم عديدة تنسجها عبر بطلات وأبطال قصصها خالصة إلى ما يشبه شخصيات متناهية الدقة من حيث الولوج إلى العالم النفسي لهذه الشخصيات وعبر دفاع ضمني عن الشخصيات المكتوبة والمنتهية إلى مصائر مشتركة من الإذعان للواقع والامتثال لأحكامه الغيبية والعبثية في آن معاً.

وتتكئ عجيب في قصصها على لغة إخبارية بحتة مسمية الأشياء بمسمياتها هاربةً من الترميز نحو مباشرة قصدية تضع فيها الواقع إزاء مجاهيله السياسية والاجتماعية معولة على أسلوب المواجهة لمفردات هذا الواقع بأماكنه الحقيقية ودون اللجوء إلى تجميله أو إخفاء قباحاته المتعددة وذلك من خلال زج القارئ في كم هائل من تفاصيل أماكن العمل والوظيفة والمنزل والشارع مفصلة ذلك بمقاطع من خارج السرد التقليدي للحدث ووحدة اللقطة المأخوذة للحياة من زاوية المتألم المتأمل في آن معاً.

ويتميز أسلوب صاحبة «ضفيرتي والإيديولوجيا» بسخرية لافتة من خلال مزج الأشياء و الكائنات وإعادة صياغتها ضمن البيئة الموجودة فيها بعيداً عن اللجوء إلى الترميز بل بالاتكاء مجدداً على خشونة الواقع وتقريريته الحياتية في مناقشات داخلية غالباً لشخصية الراوي وذلك عبر العديد من المشاهد الموصوفة وكأنها تروى أو تلتقط من على كاميرا على ظهر ذبابة دون أن يؤدي ذلك إلى تشويش المتلقي أو ضياعه عن مضمون السرد المتدفق نحو نهاياته المكتوبة بلغة الحياة في طرّاحتها وقشبها المزمنين.

يذكر أن الكاتبة هيفاء عجيب من مواليد دمشق ١٩٧٣ حاصلة على إجازة في الإعلام من جامعة دمشق وحائزة على جائزة حنا مينا للقصة القصيرة عام ٢٠٠٣ ولها العديد من المقالات في الدوريات والصحف المحلية والعربية ومجموعة «كش دبان» تقع في ١٤٣ صفحة من القطع المتوسط.

-سانا-

واقـــــع وأحـــاســـيـــس

أصدر الباحث المغربي د. خالد اليملاحي كتابا نقديا يحمل عنوان "واقع وأحاسيس" دراسة لعلاقة الأحاسيس بالواقع من خلال قراءة لثلاثة أعمال أدبية.

الكتاب يتكون من ٤٣ ص من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار Edilive universitaire سنة ٢٠١١ .

السياق: نشأت فكرة هذا الكتاب، حسب الكاتب، من الحاجة إلى التعريف بدور الأحاسيس في إدراك الواقع وحقيقته. ولعل العمل الأدبي بشكل عام والإبداعي على وجه الخصوص يتيح فرصة ملائمة لمساءلة هذا الدور وتحديد الخصائص والقيود التي تحيط به. كيف لا والعمل الإبداعي يشكل قبل كل شيء ترجمة أدبية لواقع معيش ومحسوس، تختلط فيه الشكوك بالحقائق، وتمتزج في كنفه اللحظات العابرة بالبعد الأبدي.

إن اختيار ثلاثة أعمال أدبية من حقب تاريخية مختلفة من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، وأجناس أدبية متنوعة (شعر، قصة قصيرة ورواية) يمكن من تأسيس مقاربة شاملة لدور الأحاسيس في إدراك الواقع وبناء العمل الأدبي.

هل الأحاسيس (أو التجارب الحسية) أدوات أساسية لمعرفة الذات والآخر أم هي وسائل غير مجدية خاضعة لمثبطات (أو عراقيل) خارجية؟

هل تؤدي الأحاسيس بصاحبها إلى فضاءات الواقع الواحد والحقيقة الشاملة أم أنها تظل مجرد مكونات نظام لا مادي واهم؟ بعيدا عن كل التساؤلات التي قد تثيرها أو تحيل إليها الأحاسيس فإن لها مكانة مركزية وحيوية في دينامية فعل الكتابة والإبداع. يرمي هذا الكتاب إذن إلى إبراز هذه المكانة وإيضاح العوامل والدوافع التي تساهم في تطويرها وترسيخها كحقيقة أولية لا تقبل الجدل تناولت الكتاب:

ينطلق الكتاب: من بعض الأفكار المقتطفة من مقال لرولان بارت (١٩٦٨) يهتم فيه بما يسمى أثر الواقع، مبرزا العلاقة الوثيقة التي تجمع الواقع بالنص الأدبي. ترتكز هذه الدراسة على مقاطع مختارة من الأعمال الأدبية الثلاثة، وتتبنى مقاربة الكتاب حول ثلاث، محاور رئيسية تتجلى في الفصول التالية:

الفصل الأول: يتطرق إلى دور التجارب الحسية من خلال ثلاث مقاربات: الأحاسيس كوسيلة لإدراك حقيقة العالم الخارجي

الأحاسيس كوسيلة لإدراك الحقيقة الذاتية.

الأحاسيس كمولد للمتعة.

الفصل الثاني: يتطرق إلى المعوقات التي تحول دون قيام هذا الدور وتطوره: عالم الأحاسيس كعالم لا مادي مجرد (Immatriel)

علاقة الأحاسيس بالعنصر اللغوي.

علاقة الأحاسيس بالعنصر الزمني

الفصل الثالث: يعرض إلى آليات التواصل الحسي وعلاقتها بالإبداع الأدبي عبر محورين:

ظواهر اقتران وتجانس الأحاسيس.

دور الأحاسيس في بناء المشروع الأدبي.

خلاصة على الرغم من اختلاف المصادر وتنوع المقاربات بين بودلير، بروست وكالفينو، تبقى الأعمال الأدبية الثلاثة فضاء يؤكد دور الأحاسيس في إدراك الواقع الذاتي، وبناء العمل الأدبي على أساس التجربة الحسية. من هنا، يتبين أن دور الحواس والأحاسيس يبقى مرتبطا بنوعية الواقع المحسوس وهواجس الإبداع الأدبي.

ترجمة رواية «برلنسامت» لبونجارتس

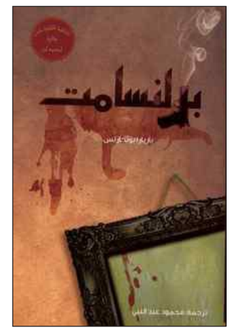

صدر للأديبة الألمانية باربارا بونجارتس رواية جديدة عن مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث تحت عنوان «برلنسامت»، قام بترجمتها للعربية محمود عبدالنبي.

تدور أحداث الرواية حول شخصية مارتين ساوندرز الذي يعمل مؤرخاً للفن، يتعرف في برلين صدفة على دافيد برلنسامت، وهو شخصية غريبة الأطوار، ولكنه ذات طبيعة جذابة وفريدة. تحدث بعد أيام قليلة من تعارفهما جريمة قتل في شقة برلنسامت، وفي الوقت نفسه يعرض على فرع شركة نوبل للمزادات في برلين لوحة لكوربيت، وهي اللوحة نفسها التي سبق لساوندرز أن رآها في شقة برلنسامت ....

يتعرف القارئ على ولع الناس بالأقفال والأبواب والإحساس الغريب بالتجسس على شيء غير مرئي، يمر حامل المفاتيح بالغرف والخزائن يفتحها ويغلقها ويرفع الستائر ليغطي أثر الجريمة، أسلوب سردي يقرب القارئ العربي من نمط روايه بوليسية ألمانية ربما يكون جديداً عليه في جوانب عديدة.

ولدت باربارا بونجارتس عام ١٩٥٧ بمدينة كولونيا في ألمانيا، درست علوم المسرح والفيلم والتلفزيون، ثم الأدب الألماني والفلسفة في باريس وميونيخ وكولونيا، وحصلت في عام ١٩٩٢ على شهادة الدكتوراه، وعملت مخرجة سينمائية من عام ١٩٨٢ حتى ١٩٨٨، كما عملت من عام ١٩٩٠ حتى ١٩٩٦ مدرسة في معهد المسرح والفيلم والسينما بين دوسيلدورف ونيويورك، وتعمل كاتبة حرة، بالإضافة إلى عضويتها في اتحاد الكتّاب الألمان، وقد حازت عدة جوائز ومنح، كان آخرها جائزة «ليسيه لنز» من هوساخ بألمانيا. ترجم الرواية المترجم الفلسطيني محمود عبد النبي، وهو من مواليد مدينة بيت لحم عام ١٩٥٩، بدأ تعليمه المدرسي في مدارس القدس، ونزح بعد حرب عام ١٩٦٧ مع عائلته إلى الأردن حيث أنهى دراسته الثانوية في عمان، ويقيم منذ عام ١٩٧٩ في ألمانيا حيث درس ويعمل في مجال الترجمة.

الـهـجـرة وتـمـثـيـلات الـــروح

الهجرة مجموعة قصصية جديدة للكاتب أحمد حمدان، صدرت حديثا عن الدار المصرية اللبنانية تحتوي على ست قصص، وتقع في ١٠٤ صفحات من القطع المتوسط، وقد حملت القصص عناوين: الهجرة، الوقف، الضبع العجوز، شاطر ومشطور، السيل، والقصب الأخضر. حيث تكتسب الهجرة معنى دلاليًا متعدّد الأبعاد والزوايا والرؤى.

القصص جميعها مكتوبة بلغة دقيقة، تقترب من الحس الترائي، شديد البراعة والإتقان، حتى أن مقاطع كاملة من هذه القصص تقترب من قصيدة النثر، ومن الشعر الخالص، والكاتب على دراية كاملة بدقائق اللغة، فكل قصة من القصص الست جميعا، يسبقها مقطع شعري تراثي، ففي القصة الأولى نقرأ أبيات أبي صخر الهذلي : وإني لتعروني لذكراك هزّة .. كما انتفض العصفور بلله القطر. هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر. عجبت لسعي الدهر ... إلخ. وكذلك يحضر أبو العلاء المعري، ومسكين الدّارمي، والفرزدق، وابن الرومي، والعباس بن الأحنف، لتصبح اللغة في هذه المجموعة بطلاً من أبطال العمل، تشويها السخرية المتقنة حينا، والإغراق في التراثية حينا آخر، والقصة التي تحمل المجموعة اسمها الهجرة تدل على هجرة مكانية روحية، حيث يذهب البطل إلى بلده في الصعيد لمدة يوم واحد في بداية شهر رمضان للإفطار فقط بين أهله ومحبيه وجيرانه، لكن الرحلة الروحية تتحول إلى قطعة من البؤس والشقاء والمعاناة، تحمل ذاكرة طفولتي أحلاماً كثيرة أتوه فيها عن أبي وأمي، أو توشك أن تصدمني سيارة يقودها مجنون، أو يهاجمني كلب صوته يخلع القلب، إنها هواجس السفر بالنسبة للصعيدي، والكاتب هنا لم يتكلم أو يكتب عن إهمال الحكومة لخطوط السكك الحديدية باتجاه الصعيد، لكن قصته وضعتنا في قلب معاناة أهل الجنوب مع القطارات. تعتمد القصة على خلق الجو النفسي المناسب، ويحتل الوصف فيها مساحة كبيرة، بما يقتضيه واقع الرحلة بين مجموعات من البشر مختلفي المشارب والوجوه.

المشهدية، والوصف البصري والنفسي من أهم ملامح هذه المجموعة المتميزة، حتى أن بعضها يقترب من الموسيقى : موسيقى اللغة والجو العام، فبرغم فظاظة العالم، فإن تناوله تم بطريقة ناعمة، متمكنة من أدواته، مستفيدة من خبرات كثيرة، ليست اللغة وحدها، وإنما القدرة على الإمساك بالجو العام للحظة، وللمشاعر المتقلبة والمتبدلة بين لحظة وأخرى، وموقف وآخر.

أخرج عدد لا يستهان به من العساكر مصاحف وأناجيل، وانطلقوا في ابتهالات خاشعة، اندفعت يس والواقعة، وأبانا الذي في السموات، مسترجمة متوسلة راجية الا تكون هذه نهايتهم .. داعية الا تدهمهم رصاصات قيل إنها لا تخطئ هدفها.

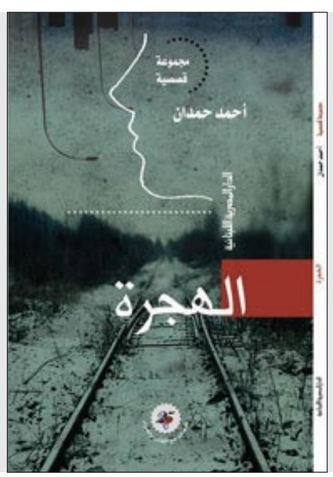

جورج صليبا.. ثورة كوبرنيك عربية!

عرض: ريتا فرج

تعامل العلماء العرب مع نصوص بطليموس بنظرة نقديّة، وأضافوا إليها وطوّروها. أما المنجزات الأوروبية في علم الفلك، فقامت على إنجازات علماء أمثال ابن الشاطر الدمشقي. في «العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية»، يعود الأكاديمي اللبناني إلى أصول الترجمة والنقل، ليكشف علاقة النصوص العربية بفورة العلوم في القارة العجوز

في أطروحته «العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية» (الدار العربية للعلوم ناشرون، تعريب محمود حداد)، ينقد جورج صليبا السرد الكلاسيكي للتفاعل العربي مع العلوم اليونانية. يعود المفكر والأكاديمي اللبناني المقيم في الولايات المتحدة إلى مراحل تطور علم الفلك عند العرب، وتأثير العلوم العربية الواضح في النهضة الأوروبية. علما بأنّ الكتاب صدر بطبعته الإنكليزية الأولى عام ٢٠٠٧، عن دار MIT Press.

من كشف إلى كشف، يقود صاحب «الفكر العلمي العربي نشأته وتطوره» القارئ في رحلة شيقة، أشبه بالصدمة المعرفية. يؤرخ صليبا لبدايات حركة التعريب في الحضارة الإسلامية. وينتقد المدوّنات الكلاسكية التي تعيد بداية حركة الترجمة إلى زمن الخليفة العباسي المأمون، المنتصر لفرقة المعتزلة. ويرجع بداية حركة النقل إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. ويعتمد بذلك على كتاب «الفهرست» لابن النديم الذي أعاد ظهور العلوم عند العرب، إلى الاحتياجات الإدارية في الدولة خلال عهد عبد الملك، أوّل من صك النقود الجديدة للدولة العربية الناشئة.

العوامل الاقتصادية والاجتماعية في عهد عبد الملك، هي التي قادت حركة الترجمة إذاً. وكانت تلك الحركة إحدى نتائج التنافس في رحم الطبقة البيروقراطية، المتصارعة على النفوذ. ويخلص صليبا إلى ما أطلق عليه مفهوم «السرد البديل». ترجمة العلوم في الإرث اليوناني، كانت نتيجة التأسيس للدولة ومتطلباتها الجديدة، ولم تكن عملاً معرفياً ترفيهيا، يرتبط بأحلام المأمون، وحواره المفترض مع أرسطو.

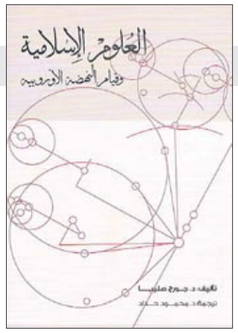

يجعل صليبا من علم الفلك في الحضارة الإسلامية أساسا لأطروحته. ويكشف كيف أنّ علماء العرب فككوا خلاصات بطليموس وانتقدوها. هم لم يكتفوا بما قدمته المصادر اليونانية في هذا المجال، بل طوّروها، ووضعوا نظريات فلكية خاصة. ومن بين هؤلاء الحسن بن الهيثم واضع كتاب «الشكوك على بطليموس». تطور هذا العلم الجديد بالترادف مع المطالب التي فرضها الدين الإسلامي، بعيداً عن التنجيم. وأدى الاحتكاك مع الثقافة اليونانية إلى ردود فعل معرفية، جاء في مقدمتها الاصطدام بالفكرة الفلسفية القائلة بأن العالم قديم/أبدي، على اعتبار أنّ الدوائر الدينية تؤمن بأن العالم محدث. يخلص صليبا إلى أن التراث الفلكي اليوناني، وخصوصا نصوص بطليموس، لم يُحفظ في الحضارة الإسلامية، بل استقبل بتقويم نقدي منذ البداية.

صدمة معرفية ثانية يكشف عنها صليبا، تتعلق بكوبرنيك. يخبرنا أنّ «هيئة عالم الفلك الدمشقي الشهير ابن الشاطر (١٣٠٤ ـ ١٣٧٥) لحركات القمر، كانت مطابقة تماماً لهيئة كوبرنيك (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣) للكوكب عينه». هذه المصادفة التاريخية التي ظهرت إلى الضوء عام ١٩٥٧، أدت إلى نقاشات بين أهل الاختصاص في أوروبا، وإلى وضع دراسات من بينها ما نشر في مجلة «إيزيس»، بقلم فيكتور روبرتس تحت عنوان «نظرية ابن الشاطر لحركات الشمس والقمر: هيئة كوبرنيكية سابقة لكوبرنيك».

هل يعني ذلك أنّ كوبرنيك كان يجيد اللغة العربية؟ طبعاً لا. كيف حدث الاحتكاك إذاً؟ يضع الكاتب مجموعة من الفرضيات المفتوحة، من بينها أنّ عدداً من مستعربي عصر النهضة، ساعد كوبرنيك في الاطلاع على علم الفلك العربي، ومن بينهم المستعرب الفرنسي غيوم بوستيل. وبهذا، فإن علم الفلك العربي ساعد على دعم الثورة العلمية في أوروبا، ليس فقط من ناحية العودة إلى المصادر العربية ــ غالباً لا يعترف بها الأوروبيون ــ بل أيضاً عبر آلات رصديّة اخترعها عرب.

يبرهن صليبا على أنّ ما اصطلح على تسميته عصر الانحطاط في الحضارة الإسلامية، لم يشهد نكوصا للعلوم العربية، بل على العكس. من جهة أخرى، يعيد النظر بما رواه التاريخ الرسمي عن دور الإمام الغزالي، صاحب «تهافت الفلاسفة»، في انتصار الفكر الديني على الفكر العقلي/ النقدي. يؤكد صليبا أنّ علم الفلك شهد عصراً ذهبياً في الفترة اللاحقة للغزالي، وأنّ تراجع العلوم عند العرب ترافق مع بداية تفكك السلطة السياسية في العالم الإسلامي، منتصف القرن السادس عشر. مع العلم بأنّ اكتشاف العالم الجديد نهاية القرن الخامس عشر أنتج تحولاً دراماتيكياً. هذا الاكتشاف، كما يلفت الكاتب، لم يعطل فقط طرق التجارة الأوروبية ـ الآسيوية التي كانت تجذب الثروة التجارية إلى الأراضي الإسلامية طوال قرون. بل جلب مواد جديدة إلى البلدان الأوروبية، بعدما كانت هذه المواد قد استنزفت في الأراضي الإسلامية».

في «العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية»، يُجبرنا جورج صليبا على إعادة قراءة تاريخنا العلمي. لا نعلم لماذا تبدو ذاكرة العرب ضعيفة في الإضاءة على المبدعين الأوائل.

والأخطر من ذلك أنّ دور النشر العربيّة تعيد طباعة المدونات الدينية/الفقهية ـ رغم أهميتها ـ والأدبيات الجنسية، مع إهمال شبه تام للإرث العلمي. ألا يحتاج العرب إلى إعادة قراءة تراثهم العلمي؟ لا شك في أنّهم سيكتشفون فيه المزيد من المنجزات التي ساعدت أوروبا على بناء نهضتها.

بلجيكا تحتفل بعودة المخطوطة الأصلية لـ (البؤساء)

تحتفل مدينة ڤرنون البلجيكية بمرور مئة وخمسين عاما على انتهاء الكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هوجو من كتابة رائعته الخالدة «البؤساء»، ويأتي الاحتفال بهذا الحدث الثقافي متزامنا مع عودة المخطوطة الأصلية للرواية من موضعها في المكتبة الوطنية الفرنسية وحلولها بفضاء متحف ويلنغتون الواقع في قلب مدينة ڤرنون لفترة تمتد من ٣٠ يونيو إلى ٣٠ سبتمبر من العام الجاري.

ويضم المتحف بالإضافة إلى المخطوطة الثمينة عددا وفيرا من الصور واللوحات والمنحوتات وملصقات الأفلام والعروض المسرحية والمقتنيات التي تؤرخ لمقام الشاعر الكبير ببلجيكا، وتسلط الضوء من جهة أخرى على تاريخ تلقي هذا العمل الاستثنائي عبر وسائط مختلف الأشكال التعبيرية.

رواية «البؤساء» التي شرع هوجو في كتابتها عام ١٨٤٥ والتي اختار لها في البداية عنوان «كتاب البؤس» تعبيرا جليا عن انتهاء سيرته في بلجيكا بطريقة مأساوية بعد تعرضه لهجوم قاده نجل وزير الداخلية البلجيكي كرفين دولدطينهوف على منزله في شارع لي باريكاد على مقربة من لاكران بلاس ببروكسيل وزاد من حدته تأليب الرأي العام ضده إثر رفض السلطات البلجيكية استقبال بعض ثوار كومونة باريس؛ وهو ما حذا بالبرلمان البلجيكي إلى التصويت على قرار بطرده من بلجيكا.

وفي ٣٠ مايو من عام ١٨٧١، أصدر الملك ليوبولد الثاني مرسوما يقضي بإيعاد الشاعر الكبير عن التراب البلجيكي وكلف وزير الداخلية بالسهر على إدخاله حيز التنفيذ. وبعد أيام قليلة من صدور هذا المرسوم،غادر هوجو بالفعل بلجيكا في اتجاه الدوقية الكبرى للوكسمبورج.

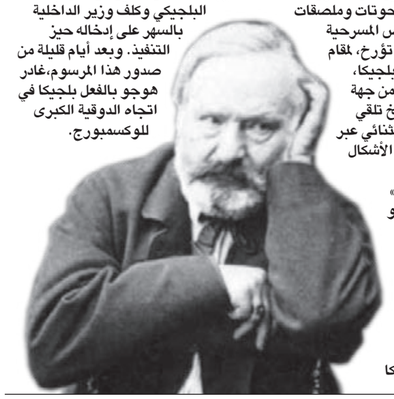

«جـهـات الـغـرب»

صدر عن مشروع « كلمة » في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث رواية «جهات الغرب» للمؤلف ميشائيل كولماير وقام بترجمتها كاميران حوج، وتتحدث الرواية عن وجوه الحياة وسطوة الزمن وقوة الحكايات .

وتبدأ الرواية – وفق وكالة الأنباء الإماراتية «وام» – بسيرة ذاتية تقتفي أب وأم وجد وابن حيث بنى المؤلف روايته ظاهريا على شكل أدبي تقليدي عنوانه « رواية الأجيال التي ترتبط الحفيد بجده وترتبط بين الطرفين بأب».

ويصور المؤلف بحنكة سردية عالية مدى اعتماد البشر على بعضهم وتشابك أحداث العالم بعيدا عن التقلبات السياسية والتاريخية .

و المؤلف « ميشائيل كولماير في » الذي ولد عام ١٩٤٩ في بلدة هارد في النمسا درس الآداب الألمانية والعلوم السياسية في جامعة ماربورغ في ألمانيا والفلسفة والرياضيات في جامعة غيسن، ونال عديد من الجوائز بينها جائزة «راوريزر للأدب «و جائزة « يوهانس باول هيبل «و جائزة «مانه شبيربر» بالإضافة إلى جائزة «أنتون فيلدغانز» « .

اما مترجم الرواية كاميران حوج فقد ولد في تل عربيد في سوريا عام ١٩٦٨ويقيم منذ ١٩٩٦ في ألمانيا حيث درس الآداب الألمانية والاستشراق في جامعة بوخوم .

" طرق خفيف على جدار الروح "

مجموعتها الأولى عن دار شمس للنشر بالقاهرة:

شمس جديدة تطل في سماء الكتابة الأدبية والقصصية ، وروح شفافة طاهرة تتسلل إلى وجدان قارئها من خلال " طرق خفيف " على جدران الإنسانية العذبة ، والحياة المفعمة بشتى المفارقات والمتناقضات ، إنها " نجلاء غانم " القلم المتأدب الجديد ، الذي يخطو أولى خطواته نحو احتضان دفتي كتاب ، والروح السابحة في فضاءات الكلمة المعبرة ، والحكايات الجميلة المؤثرة ، بحثا عن غاية أسمى ، لتحقيق ذات ذواقة مرهفة الحس والعقل والوجدان .. شاءت لها الأقدار أن تكون طبيبة فتقترب من هموم المرضى وآلامهم ، وتلتمس ما تستطيع من شفاء لأبدانهم وأجسادهم ، وشاءت لها الأقدار أيضاً أن تكون كاتبة مبدعة تفتش في هموم الروح والوجدان من خلال ما تكتب وتبدع ، وبين الطب كمهنة والقلم كإبداع ، تتبلور شخصية هذه الكاتبة المفعمة بالإنسانية ، والتي بالتأكيد سوف تحتل مكانها ومكانتها بين كبار الأدباء والكتاب . حاورناها حول مجموعتها القصصية الأولى ، وبادرناها بالسؤال:

حاورها : محسن حسن

قصص هذه المجموعة خليط بين كتابات الماضي وكتابات الحاضر، والوجدان واحد

معرفة آراء النقاد والقراء أكبر إفادة على طريق إبداعات المستقبل

القاصة والطبيبة نجلاء غانم:

مشرط الجراح وقلم الأديب كلاهما يبحث عن موضع الألم

× حدثينا عن مجمل رحلتك في الكتابة حتى الآن .. وهل كانت هناك كتابات قبل هذه المجموعة؟

. أنا اكتب القصة القصيرة منذ كنت في المرحلة الثانوية ولم أتوقف عن الكتابة حتى الآن وهذه المجموعة هي قصص مختلفة التواريخ ولكن يربط بينها خيط وجداني فلذلك هناك كتابات قبلها وأخرى بعدها.

× ماذا عن مضمون مجموعتك الأخيرة "طرق خفيف على جدار الروح"؟

. قصص هذه المجموعة تعتني بكل الجوانب الإنسانية وتركز على اللحظات التي تمر بالإنسان من خوف وأمل وترقب ورجاء وانتظار وما تسعى إليه النفس البشرية في حياتها وما تريد وما هدفها والمبادئ والأفكار ووجهات النظر المختلفة تجاهها.

× ما سر اختيار هذا العنوان؟ وهل كان هناك عنوان آخر مقترح؟

. لم يكن هناك عنوان آخر مقترح وتم استخدام عنوان إحدى قصص المجموعة كعنوان للمجموعة لما تحمله من دلالة ومعنى يستطيع أن يُظل باقي القصص أسفله.

× ما عناوين قصص المجموعة؟

. عناوين قصص المجموعة هي : فص الخاتم، الصفر، الخروج إلى الظلام، البداية الصعبة، الكابوس، دمية حية، نفس المشهد، البديل، البستان، العقرب، صراع، عمق لأبعد ثورة، طرق خفيف على جدار الروح، البحر، الصمت ..إلى متى؟، وثانية يكون الأفضل، التراب، الدائرة، محاولة للقدر، مؤامرة أسفل مائدة.

× هل كنت حريصة على ربط المضمون بعنوان العمل منذ البداية؟

. لا ، لم يكن هناك حرص مني على ربط المضمون بعنوان العمل فقد تم اختيار القصص من مجموعة كبيرة لديّ ثم تم

اختيار العنوان ليعبر عن فكرة عامة تندرج تحتها القصص.

× ماذا أفدت من كتابة هذه المجموعة كأول عمل لك في مجال الكتابة القصصية ؟ وهل مررت بصعوبات ما خلال الكتابة؟

. الإفادة تنبع من معرفة آراء النقاد والقراء فبالتأكيد سوف أستفيد من وجهات نظرهم وتعليقاتهم فيما سوف أكتبه في المستقبل بإذن الله تعالى. أما بالنسبة للصعوبات فلا تستقيم الدنيا لأحد ومن هذه الصعوبات ضيق الوقت والانشغال بدراستي للطب ثم ممارستي لهذه المهنة السامية بجانب مشاغل الحياة العادية التي تواجه جميع البشر.

× ما أبرز تطلعاتك في مجال الكتابة الأدبية، وهل فكرت في خوض تجربة الكتابة الروائية؟

. أتطلع الى إثبات نفسي ككاتبة قصة قصيرة لها أسلوبها ونكهتها المميزة وأن أستطيع تقديم أعمال راقية للقراء ترقى بأفكارهم وسلوكهم ومشاعرهم. وقد فكرت في خوض تجربة الكتابة الروائية كثيرا ولكني تراجعت لضيق الوقت فالرواية تحتاج لتركيز ذهني ووجداني أكبر ووقت أطول وهذا ما لا أملكه الآن.

× بمنتهى الصراحة .. هل هناك شبهة مجاملات للفتيات تتبناها بعض دور النشر على حساب الاحترافية في الكتابة؟

. لا أعتقد أن هناك شبهة مجاملات للفتيات على حساب الاحترافية في الكتابة عند النشر ولكن هناك صعوبات كثيرة تواجه من يكتب ويريد النشر برغم جودة ما يكتبه لكونه ما يزال في بداية طريقه فمن ييسر لهم النشر هم أصحاب الأسماء اللامعة في سماء الصحافة أو التليفزيون أو الراديو وأيضا لكل دار نشر سياستها الخاصة في نوع المطبوعات ومجالاتها وهذا أيضا يتحكم في قبول النشر أو رفضه.

× بما أنك متخصصة في الطب والجراحة .. هل تأثرت بهذه المهنة خلال كتابتك هذه المجموعة؟

. بالتأكيد سوف تجد في كتاباتي تأثري بدراستي للطب والجراحة وسوف تجد داخل المجموعة هذا التأثر فالطب مهنة سامية تهتم بالإنسان كجسد وروح وتسعى للتخفيف عنه وإنقاذه.

× هل يمكن أن يؤثر الطب الجراحي وجدانياً في حياة الكاتب من وجهة نظرك ؟ وهل ثمة علاقة بين مشرط الجراح وقلم الأديب والكاتب؟

. بالطبع يؤثر الطب وجدانيا في حياة الكاتب لأن من يسعى للطبيب هو مريض مثقل بالألم والوجع وهما الشرارة الأولى لتحريك الإحساس ثم الكتابة غير أن علاقة الطبيب بالمريض تفتح له نافذة سحرية على عوالم كثيرة تثريه بمعلومات وأحاسيس رائعة للكتابة ، وأنا أعتقد أن هناك علاقة بين مشرط الجراح وقلم الأديب والكاتب فكلاهما يشرح ليبحث عن موضع العطب والألم ولكن الفارق أن مشرط الجراح يساعد في العلاج لكن قلم الأديب يعرض المشكلة حتى يتثنى للمعنيين بها إيجاد الحل المناسب لها.

× كلمة أخيرة .. لمن توجهينها؟

. أود أن أوجه جزيل الشكر لجريدة المدى العراقية على اهتمامها بالإصدارات الثقافية وأتمنى لها دائما الرقي والتوفيق ودائما نبقى على تواصل.

"عباس العقاد في تاريخ الصحافة المصرية" لـ راسم الجمال

يؤرخ صحفياً لأكبر كتاب السياسة المصرية وأغزرهم إنتاجاً في النصف الأول من القرن العشرين

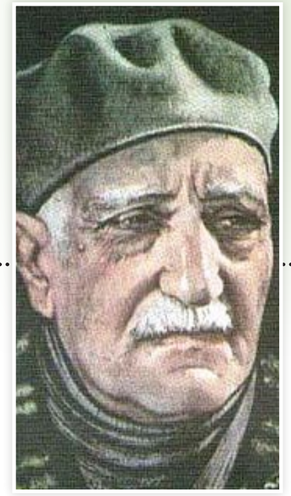

العقاد ترك مائة مؤلف وعشرة دواوين شعرية ، وأصدقاؤه شوّهوا سيرته وتاريخه

عنف العقاد أخاف منه خصومه وأصدقاءه على السواء، وصورته بين قرائه كانت متجسدة في" هرقل يحمل هراوته"

حملات العقاد الصحفية دفعت الرأسماليين إلى ضربه، والإخوان إلى محاولة اغتياله

عرض : صفاء عزب

في عشرة فصول وأربعمائة صفحة، صدر عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، كتاب " عباس العقاد في تاريخ الصحافة المصرية " لمؤلفه الأستاذ الدكتور راسم محمد الجمّال، وهو كتاب يتناول منظوراً جديداً في رؤية عملاق الأدب العربي " عباس العقاد "، لم تطرقه من قبل جهود الباحثين. وما أكثرهم في فكر وأدب وشعر العقاد. تبدأ فصول الكتاب بالعوامل التي أسهمت في تكوين شخصية العقاد الصحفية، وبعدها يتناول الكتاب. عبر صفحاته. الفترات المختلفة في تشكيل الحياة الصحفية لدى العقاد على اختلاف ظروفها ومعالمها بدءاً من الفترة التي تسبق ثورة ١٩١٩م ثم أثناءها، مبيناً دور العقاد في الصحافة حتى سجنه سنة ١٩٣٠م .. ويرصد بعد ذلك الفترة التي أعقبت خروجه من السجن حتى خروجه عن حزب الوفد، وكذلك ملامح الفترة من عام ١٩٣٧م حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم الفترتين الأخيرين في رحلة الكتاب، وأولاهما من نهاية هذه الحرب حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، وثانيتهما الفترة فيما بعد ثورة يوليو . جدير بالذكر أن الكتاب يكشف أسراراً جديدة تعرف لأول مرة عن علاقة العقاد بالصحافة المصرية والصحفيين المصريين والأحزاب في مصر، والكتاب اشتُق من رسالة ماجستير للكاتب تحمل نفس العنوان .

ظاهرة فريدة

قدّم الأستاذ الدكتور راسم الجمال للكتاب، مبرزاً قيمة العقاد وظاهرته الفريدة في تاريخ الصحافة المصرية ؛ فقرر أن العقاد هو أكبر كتّاب السياسة في مصر، وأغزرهم إنتاجاً في النصف الأول من القرن العشرين بغير منازع، ومعللاً ذلك بأنه لا يوجد في تاريخ الصحافة المصرية، من احترف الكتابة السياسية زهاء نصف قرن، وارتفع بكتاباته إلى مقام الزعامة السياسية وسقط بعدها . وبأنه ليس في تاريخ الصحافة المصرية من ترك هذا التراث الصحفي الوفير، وترك معه تراثاً فكرياً وأدبياً وشعرياً وصل إلى مائة مؤلف وعشرة دواوين من الشعر . وبأنه ليس في تاريخ هذه الصحافة من شوّه تاريخه وسيرته، مثلما شوّه أصدقاء العقاد تاريخه وسيرته، كما أنه ليس في تاريخ كتّاب السياسة في مصر من يجاري العقاد في قوة أسلوبه وبلاغته، في غضبه وحدته، أو في سخريته وفكاهته . وفي ختام مقدمته أوضح المؤلف أن مضمون كتابه هذا اعتمد على تحليل كتابات العقاد السياسية في الفترة من عام ١٩٠٤م إلى عام ١٩٦٤م، بالإضافة للمراجع التاريخية والسياسية التي تناولت الحياة السياسية في مصر خلال تلك الفترة .

عوامل التكوين

وفي مستهل الكتاب، تطرق الكاتب إلى ذكر وتحليل العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية عباس العقاد الصحفية ؛ فبعد أن أورد الكاتب بعضاً من تاريخ مولد ونشأة العقاد في مدينة أسوان المصرية ابتداءً من الثامن والعشرين من يونيه / عام ١٨٨٩ م، وكيف أن أصل والده يرجع إلى مدينة دمياط التي كان فيها جد جد العقاد لوالده محترفاً صناعة الحرير، وكيف أن والدته كانت حفيدة لأحد رجال الفرقة الكردية التي أرسلها محمد علي باشا إلى السودان لتأديب ملك " شندي " حوالي عام ١٨٢١م، أشار الكاتب إلى أن الصحافة كانت أمل العقاد في حياته، حتى أنه كتب عن ذلك قائلاً " إنني منذ بلغت سن الطفولة وفهمت شيئاً يسمى المستقبل لم أعرف لي أملاً في الحياة غير صناعة القلم، ولم تكن أمامي صورة لصناعة القلم في أول الأمر غير صناعة الصحافة " . ويصف الكاتب عوامل التكوين العقلية والثقافية لدى العقاد من خلال شخصيته التي تتسم بالاتساع والشمول الذي جمع في داخله عناصر متناقضة، جمعت بين القوة والعنف من جانب، والسخرية العميق في أحيان كثيرة، وبين السطحية في بعض الأحيان، ثم يسوق الكاتب وصف سعد زغلول كتابات العقاد الصحفية، والذي قال فيه " إنه لا يعالج موضوعاً إلا أحاط به جملة وتفصيلاً إحاطة لا تترك بعدها زيادة لمستزيد " .

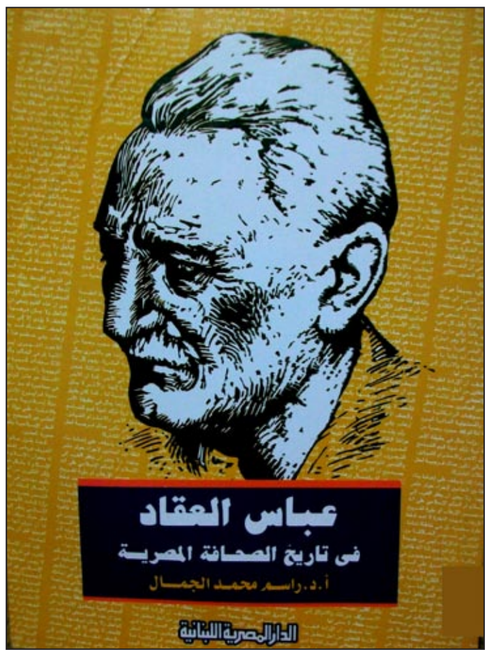

بين العقاد وهرقل

وفي سياق تحليل ملامح كتابات العقاد الصحفية، أبرز المؤلف مدى تحكم العوامل المزاجية والنفسية في شخصية العقاد، وكيف أن أجلى صورة لهذه العوامل كان يظهر من خلال كتاباته الصحفية، والتي كان من خلالها مشهوراً بالقوة في الدفاع عن رأيه، تلك القوة التي تصل أحياناً إلى حد العنف، وإلى المهاترات الصحفية، ويقرر المؤلف هنا أن هذه القوة لدى العقاد كان يدعمها عدة أمور أهمها عدم إيمان العقاد بالتوسط في الصداقة أو العداوة، وكراهيته للهزيمة، ثم طبيعة الصراع الحزبي في مصر في النصف الأول من القرن العشرين . وينقل الكاتب عبارات البعض في وصف قوة العقاد وعنفه، من ذلك وصف إبراهيم عبد القادر المازني، صديق العقاد الذي يقول فيه " إنه كالإعصار من حيث القوة والبأس والقدرة على العنف "، ووصف عبد الرحمن صدقي بأن العقاد كان " بطبعه عصبياً سريع الغضب متهيئاً للاشتعال "، ووصف محمود تيمور " عرف العقاد في مساجلاته بأنه عنيد وأنه مطبوع حقاً على العنف والجبروت "، ويوضح الكاتب من خلال ذلك كله أن عنف العقاد صوّره في أذهان قرائه في صورة " هرقل الذي يحمل هراوته لضرب خصومه، ولم تكن هراوته غير قلمه .

حملات صحفية

ويذكر الكاتب عن حملات العقاد الصحفية أنها كانت عنيفة، موجهة، حتى عام ١٩٣٥، إلى خصوم الوفد، سواء أكانوا في الحكم أم في المعارضة، بحيث تحول العقاد بعنفه لهدم حزب الوفد وقياداته لصالح أحزاب الأقليات التي ظل يؤيدها حتى عام ١٩٥٢م، وينقل الكاتب عن سعد زغلول وصفه مقالات العقاد وحملاته الصحفية بقوله " إنه جبار شديد الوطأة على خصومه وعنيد في فكرته "، ويشير الكاتب أيضا من جهة أخرى إلى أن خصوم العقاد من حزب الوفد كانوا يتهيبون عنفه، ويضرب مثلاً لذلك بما حدث من طه حسين عندما تصدى لنقد كتاب العقاد " مطالعات في الكتب والحياة " ؛ حيث كتب طه حسين يقول " وأما الأستاذ عباس العقاد فأريد أن أنقده، ولكنني أعترف بأنني خائف متهيب ؛ لأنه مهيب مخوف " . ويذكر الكاتب أيضا أن خصوم العقاد واجهوا مقالاته الصحفية العنيفة بعدة طرق، منها الطعن في شخصه وعرضه مثلما فعلت " الأخبار " حينما ادعت أن العقاد ابن غير شرعي وتحدته بإظهار شهادة ميلاده (الأخبار ٢٦ فبراير ١٩٢٨)، ومنها الاعتداء عليه مثلما فعل الرأسمالي أحمد عبود عندما دفع عمال شركة السكر بكوم إمبو للاعتداء عليه في رحلة سفر من أسوان إلى القاهرة في يناير ١٩٥٠، ومنها محاولة اغتياله مثلما حاول الإخوان المسلمون .

صلابة لا وسطية

ويشير الكاتب إلى أن صلابة العقاد وميله إلى تحدي خصومه مهما كان لديهم من إمكانات الردع، كان مما يميزه خاصة على مستوى شخصيته الصحفية ؛ فقد كانت مقالاته تزداد قوة وعنفاً إذا كان الخصم في الحكم، وهذا ما يلاحظ على حملاته الصحفية على أحزاب الأقليات قبل عام ١٩٣٥، وحملاته على الوفد بعد عام ١٩٣٦، كما أن محاولات إيقاف مقالاته الصحفية بالشدة كانت تأتي بنتائج عكسية، فعندما حاول الإخوان المسلمون اغتياله ازدادت حملاته عليهم بعدها، وعندما حاول مصطفى النحاس باشا إيقاف حملاته على وزارة محمد توفيق نسيم عام ١٩٣٥ ازدادت حملات العقاد على ذات الوزارة . ويسوق الكاتب في هذا الإطار وصف العقاد مثيله إلى التحدي بقوله " فلا أعرف إنساناً نصفه صديق ونصفه عدو، وإنما أعرف صديقاً مئة بالمئة، أو عدواً مائة بالمائة، ولا تهمني، بعد ذلك، عداوته إذا حفظها لنفسه.. ولكنه إذا تعقبني بها وأبى إلا أن يكشف عنها، فهي الحرب التي لا توسط فيها كذلك. إما كاسرا وإما مكسورا إلا أن يريحني احتقاره من عناء هذا وذاك".

صـــــادر عـــن دار الـــشـــــروق المـــصـــريـــة:

"على الجسر" للراحل: أسامة أنور عكاشة

يحوي مقالات ذوقية راقية في الثقافة والأدب والسياسة

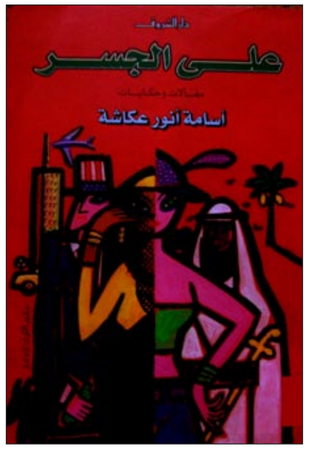

عرض :اوراق

كتاب "على الجسر .. مقالات وحكايات"، صادر عن دار الشروق المصرية، في ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير، وفيه تجميع مثالي لمقالات وحكايات كتبت بقلم السيناريست الراحل أسامة أنور عكاشة، والكتاب نفسه كان قد صدر في حياة عكاشة وقبل رحيله، وكان إهداؤه موجها إلى "صاحب الأيام .. الأستاذ العميد" وإلى "أبينا بالجين الأدبي الوراثي .. نجيب محفوظ" وإلى "معلمي الأول .. يوسف إدريس"، وفي الكتاب خواطر كثيرة حول فن المقال الصحفي في حياة أسامة أنور عكاشة، حيث يقول "فن المقال الصحفي كان دائما ما يشغلني ويجعلني أتحين الفرصة لأمارس من خلاله وجها آخر من وجوه الكتابة .. الفن الذي عكفت عليه وتفانيت فيه واعتنقته وكان إسهامي فيه معادلا لتحقيق الذات وإثبات الوجود! وتوالت مقالاتي وتنوعت بين شتى ألوان النثر الفني (وهو ما أميل إلى إلحاق المقال به) فكان منها ما يدور حول الانطباعات والآراء النقدية .. وكان فيها ما يمكن أن أسميه "بالغلو أو الادعاء" بالمقال القصة" أو "القصة المقال" الذي تطول بعض نماذجه حتى لتكاد تصل إلى حجم الرواية .. وأشهد أن هذا اللون قد أمتعني في كتابته وأحببته وكنت شديد الحرص على متابعة ردود فعل قراءته لدى البعض من الأصدقاء الذين أعرف اهتمامهم بالأدب والقراءة". جدير بالذكر أن الكتاب احتوى على ما يقرب من خمسين مقالا وخاطرة وحكاية كتبها أسامة أنور عكاشة على مدار تاريخه الطويل.

التحرير

تحت عنوان "معركة التحرير١" يعود عكاشة بقارئه إلى أيام ثورة يوليو، حيث ذكر السيناريست الشهير أن الأجيال المصرية لا تزال تذكر المردود الحماسي لمعركة التحرير في القناة أوائل الخمسينيات، وكيف أن سلطة ثوار يوليو وضعت شعاراً لها ماثلاً في علم أسمته "علم التحرير" بألوان مستطيلة من الأسود والأبيض والأحمر، وأن هذا العلم قد استبدل وأضيفت له نجمتان بالعلم المصري الأخضر القديم بعد إعلان دولة الوحدة بين مصر وسوريا، وبقي حتى اليوم هو العلم الرسمي بعد أن حذفت النجمتان وحل محلهما نسر ثم صقر ثم نسر مرة أخرى!! ليس هذا فقط، فقد اختارت سلطة يوليو أن يكون اسم أول تنظيم سياسي تقيمه بديلاً عن أحزاب ما قبل ٥٢ التي تم إلغاؤها بقرار "ثوري عسكري"، "هيئة التحرير" و "مديرية التحرير"، ويقرر عكاشة أن هذه الأسماء كان لها مردودها أيضاً خلال عقدي الخمسينيات والستينيات بالنسبة لحركات الكفاح الوطني من أجل الاستقلال، فكان هناك "جبهة تحرير الجزائر. حركة تحرير كينيا" "الماوماو"، "جبهة التحرير الفيتنامية" فيبت منه" و" فيبت كونج" "منظمة تحرير قبرص" "ايوكا" وصولاً إلى جبهة ومنظمة التحرير الفلسطينية ثم جبهة تحرير السودان وجبهة تحرير "البوليساريو"!.

العقل المصري

وينتقل عكاشة من تحرير الشعار إلى تحرير العقل، فيتحدث عن المعركة التي يتعين على الشعب المصري أن يخوضها لتحرير العقل المصري، مؤكداً انه لا يزال العقل المصري سجيناً وأسيراً ومحتلاً، وان تلك هي الأزمة الحقيقية التي تحشر المصريين جميعاً في عنق زجاجة يشكل مأزقا تاريخياً وجوديا يرى المصريون أنفسهم فيه أسرى لفخ يبدو وكأنه "قدر" لا فكاك منه بحيث يصبح "ميكانيزم" الدفاع الوحيد الذي يتخذونه هو اللجوء لدعاوي الخصوصية والاختلاف والاختباء داخل أصداف الهوية، او اللجوء للجهر بأنهم ضحايا مؤامرات خارجية تتضافر لتعويق جهود النهضة المنشودة، أو في المقابل يستعذبون عقلية وممارسات "جلد الذات" والإفراط في خمش الوجوه وتمزيق الجلود بالأظافر في نوع من "المازوخية" الصارخة التي لا تضيف إلا ضغثاً على أبالة وتفاقم من حدة الأزمة مفردات العصر مكبل بأنصاف الحلول..

وأنه مبعثر في غياب نسق متكامل للحركة، رغم الجهود المبذولة لإصلاح واقع المصري في التعليم الزراعة والإعلام والتكنولوجيا، إلا أن انطباعا سلبيا يساور الجميع في مصر بأن كل هذه الجهود لا تتوازى ولا يجمع بينها نظام للتحكم والإدارة من خلال فلسفة واضحة يكون هدفها "تثوير" الواقع وتغييره ليتزامن مع مشروع كامل للنهضة"!؛ ويوضح عكاشة أن مسألة الظرفين؛ الزماني والمكاني في حياة المصريين، قد توحي بأنهم ضحايا لظروف قهرية فرضت عليهم، مؤكداً أن هذا في الحقيقة إيحاء كاذب ومضلل لأنه قد يزين الاستسلام وتعليق كل المتاعب على شماعة الظروف بعد أن بليت شماعة المؤامرة من كثرة الاستعمال.

وتحت عنوان آخر هو "الزمكان" يتطرق عكاشة في مقال آخر إلى عرض ما طرأ على "الإنسان" في مصر من تغيرات، وذلك في إطار "زمكانية" المصري أي مكانه وزمانه؛ حيث يشير عكاشة إلى أن مشكلة المصري زمكانية بحيث يبدو عاجزاً عن معايشة زمانه، وتبدو جهوده من أجل تحسين الأداء غير مثمرة لأن تعامله مع

. ويصل عكاشة إلى دعوة المصريين إلى تعقل الظروف المتصلة بمسارات التاريخ والتطور المجتمعي والمكون الثقافي شاملاً الميثولوجيا الممتدة في الوعي التاريخي والثيولوجيا الحاكمة في منطقة نشأت بها كل العقائد والدعاوى المتصلة بالعلاقة بين الإنسان والسماء.

المصري المتغير

وتحت عنوان آخر هو "المصري المتغير" يتطرق عكاشة في مقال آخر إلى عرض ما طرأ على "الإنسان" في مصر من تغيرات، وذلك في إطار "زمكانية" المصري أي مكانه وزمانه؛ حيث يشير عكاشة إلى أن مشكلة المصري زمكانية بحيث يبدو عاجزاً عن معايشة زمانه، وتبدو جهوده من أجل تحسين الأداء غير مثمرة لأن تعامله مع

الديكاميرون

وفي استعراضه لسجالات الأدباء والنقاد حول مسألة تأثر الإداب الأوربية والغربية عموماً بالأدب العربي، اعتبر أسامة أنور عكاشة أن تأثر الغربيين بالأداب العربية واقعاً موجوداً؛ ودلل على ذلك بالإيطالي "جوفاني بوكاشيو" في أهم أعماله الديكاميرون"، من حيث كونه تأثر في هذا العمل بشكل "ألف ليلة وليلة"، ومن ثم يشكك عكاشة في القاعدة المشهورة لدى كثير من النقاد المهتمين بتاريخ الأدب والأدب المقارن، والتي تنكر أن يكون الأدب العربي قد عرف فن "الرواية" قبل العصر الحديث، وأن فن الرواية مستحدث لم يعرفه الأدباء العرب إلا بعد ازدهار حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية في القرن الماضي، ويقرر عكاشة أن هذه القاعدة مرفوضة ومشكوك فيها ولا تمثل سوى زعم غير مقبول، معتبراً أن رسالة الغفران رواية، وحي بن يقظان رواية مهما كان الاختلاف في تطبيق مقاييس الرواية الغربية عليهما. ويذكر عكاشة أن "ألف ليلة وليلة" نص روائي عربي لا شك في انتمائه لجنس الرواية طبقاً لتلك المقاييس، بدليل أنها عندما ترجمت إلى اللغات الأوربية سميت بـ" الليالي العربية " The Arabian nights، وأن شكل الحكي الروائي المقسم إلى "ليال" هو الذي استوحاه "بوكاشيو" في "الديكاميرون" والتي فعل نفس الشيء في عصر تالي كالروائي الفرنسي الكبير "أونوريه دي بلزاك" في الكوميديا الإنسانية "ألف ليلة وليلة الفرنسية".

تلك الأيام

وتحت هذا العنوان، حكى الكاتب بعضاً من ملامح الأيام الخوالي وقت حدوث الانقلاب الانفصالي في دمشق السورية أيام عبد الناصر، وكيف أنه جلس هو ومجموعة من زملائه حول جهاز الراديو يستمعون إلى خطابات الانفصاليين في سوريا تلك التي تكرس الانفصال وتعطي الانقلاب شرعيته، ثم ما لبثت أسماء الضباط ورجال السياسة الذين دبروا الانقلاب ونفذوه تظهر شيئاً فشيئاً؛ عبد الكريم النحلاوي، عبد الغني الدهمان وآخرون من ضباط الجيش السوري الأول، ثم إعلان تعيين "هاشم الأتاسي" رئيساً للجمهورية السورية، ومأمون الكزبري رئيساً للوزراء، وخالد العظم وزيراً للخارجية .... ويحكي عكاشة كيف أنه خلال هذه الظروف ظهر جيل الساسة القدامى الذين عارضوا الوحدة أو شايعوها ثم انقلبوا ضدها، أو الذين عصفت بهم خلافات حزب البعث مع نظام عبد الناصر؛ يقول عكاشة "كان نفوذ عبد الناصر في الشارع العربي كاسحا.. وكانت قدرته على التأثير في الجماهير وتحريكها تبدو غير قابلة للتحدي.. لكن الأنظمة الحاكمة في معظم البلاد العربية كانت ضده..ولو في السر.. ولو شايعته في الظاهر نفاقا للجماهير. وإذا بالانفصال يأتيهم زبدة على فطيرة.. فها هي انتكاسة تصيب عبد الناصر في الصميم.. فيبدو في حساباتهم ضعيفاً ويبدو المناخ صالحاً لضربه والإجهاز عليه.. وقد كان".

"فصل الخطاب" يعيد تأريخ سيرة شاعر العروبة ويرد على خصومه

عرض : اوراق

كتاب "علي الجارم .. فصل الخطاب" صادر عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، لمؤلفه الطبيب الجراح الدكتور أحمد علي الجارم. ابن الشاعر الكبير. والذي رأى في إقدامه على تأليف وجمع هذا الكتاب تقديراً لتراث والده شاعر العروبة والإسلام، ورداً على الإهمال الكبير الذي لاقاه ويلاقيه تراث الشاعر الكبير على مدار سنوات طويلة .. الكتاب قسمه مؤلفه إلى فصول وعناوين متسلسلة تاريخيا وزمانيا بحسب مراحل حياة الشاعر الكبير علي الجارم، منذ نشأته في رشيد مروراً بسفره وزواجه ثم وفاته المفاجئة في حفل تأبين النقراشي.

نسب كريم

في مستهل الكتاب تأتي تفاصيل نشأة الشاعر الكبير والأديب واللغوي علي الجارم، حيث نشأ في أسرة اشتهرت في مدينة رشيد بمحافظة البحيرة بأنها تمتلك زمام الشعر العربي الرصين، وتسيطر على علوم اللغة والشريعة؛ فأبوه الشيخ محمد صالح الجارم من خريجي الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي، وأخوه الشيخ محمد نعمان الجارم قاضي قضاة مصر والسودان، وهو ينتمي لعائلة الجارم التي تحظى بنسب كريم من الأشراف الأدارسة الذين يمتد نسبهم للحسن بن علي بن أبي طالب. كرم الله وجهه. وكل أفراد هذه الأسرة لهم اعتزاز بالغ بنسلهم هذا حتى أنهم يحتفظون إلى الآن بوثيقة تبين تسلسل هذا النسب، والجارم نفسه عبر عن هذا الاعتزاز في قصيدته "أبو الزهراء" حينما قال:

ولي نسبٌ يُنمى لبيتك صانني
وصانته مني عزةٌ وإباءُ
عليك سلام الله ما درّ شارقٌ
وما عطّر الدنيا عليك ثناءُ
رشيد في القلب

وقد ارتبط الجارم الكبير. كما يؤرخ الجارم الصغير. بمدينة رشيد مكان ولادته في الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٨٨١ تلك المدينة الباسلة التي تحطمت على صخرتها شوكة الإمبراطورية الإنجليزية، والتي شهدت نشأته في مدرستها الابتدائية ثم في كُتّاب جامع "المحلي" الكبير حيث تعلم في حلقات الفقه والنحو والكلام وحفظ القرآن عن ظهر قلب قبل أن ينتقل إلى القاهرة، وأهل رشيد أنفسهم ارتبطوا بأسرة الجارم الكبير الشيخ إبراهيم الجارم فكانت تأتيه الوفود لتشكوا إليه ظلم الوالي التركي" عمان خجا" وتعسفه في جمع الضرائب، فكان يدافع عنهم ويرد إليهم حقوقهم لمكانته وشرفه، ومما يذكر عن الجارم الكبير أنه رفض تزويج إحدى ابنتيه "رقية وأمنة" للجنرال جاك فرانسوا دي مينو حاكم رشيد وصديق نابليون بونابرت الشخصي، وقد خلد الشاعر علي الجارم هذه الأحداث في روايته "غادة رشيد"، وفي كثير من أشعاره كان يتردد اسم "رشيد" بكل الحب والعرفان؛ يقول في حفل افتتاح مصيف رشيد:

أرشيدُ لا جرحٌ ولا إيلامُ
عاد الزمان وصحّت الأحلامُ
يا زينةَ بين الثغُور وفتنةً
سَحَرَ الممالكَ ثَغْرُك البسّامُ
يا دُرّة البحر التي بوميضها
ضحك الصّباح وأشرقَ الإظلامُ

همة الصغار

وعن رغبة الشاعر الكبير وحبه للنبوغ والتفوق، يقرر المؤلف أنه عرف عن الجارم منذ صغره تطلعه للنبوغ والتفوق؛ يوما ما في رشيد حضر وفد نظارة المعارف برئاسة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية ليمتحن تلاميذ المدرسة الابتدائية وكان من بينهم علي الجارم فأمره الشيخ حمزة أن يكتب بخط واضح هذين البيتين:

رأى وفد المعارف في رشيد
رشاداً زانه رأيٌ سديدُ
فقال مؤيداً ما شاع عنها
رشيدٌ ما بها إلا رشيدُ

فلما أعجب الشيخ به وانتهى الاختبار سأل الجارم والده عن منزلة الشيخ حمزة فأخبره أنه المفتش الأول للغة العربية فرد الجارم قائلاً: وهل إذا تعلمت أكون مثل المفتش الأول للغة العربية؟ فابتسم الوالد وقال: "إذا اجتهدت يا علي فقد تكون"، وتشاء الأقدار عام ١٩٣٥ أن يشغل الجارم هذا المنصب الذي كان يشغله أستاذه الشيخ حمزة، ومما يذكر في نبوغه العلمي أنه لم يكن يعرف كلمة واحدة بالإنجليزية عندما أرسلته وزارة المعارف مع محمود فهمي النقراشي وأمين لطفي إلى انجلترا مبعوثاً للتخصص في علوم التربية والمنطق وعلم النفس والأدب الإنجليزي والتدريس لمدة أربع سنوات، ولما رحل إلى لندن التحق بمدرسة لتعليم الإنجليزية لمدة عام فأجاد الإنجليزية حتى أنه عندما ذهب إلى بلدة نوتنجهام التي بها الجامعة المخصصة لدراسته كانوا يستعينون به لإلقاء الشعر بالإنجليزية في حفلاتهم!!

فكاهة ومرح

ويذكر الكاتب أنه عرف عن الشاعر الكبير علي الجارم أنه كان يتحلى دائماً بروح المرح والفكاهة، وقد أرجع ذلك الكثير من الأدباء. ومنهم عباس العقاد. إلى الفطرة المتأصلة في أهل رشيد كلها، ويشهد العقاد أن كل مواقف الجارم لم تخلو من دعابة أو فكاهة أو نكتة ظريفة، عندما ذهب إلى بلاد الإنجليز أرسل صورة فوتوغرافية إلى والده وهو يرتدي الزي الإفرنجي ويضع القبعة على رأسه مثل الإنجليز وكتب يقول:

لبستُ الآنَ قبعةً بعيداً
عن الأوطانِ مُعتادَ الشُجُونِ
فإنْ هي غيّرَتني فإني
"متى أضعُ العمامةَ تعرفوني"

وعندما كان في طريق عودته إلى بلدته رشيد من القاهرة مر بمدينة "دمنهور" ولم تعجبه حالها فكتب يقول:

لما مررتُ دمنهوراً رأيتُ بها
بحراً من الطين لا ينفك مسجورا
سبحانك اللهم تُحيي الخلقَ من عَدَمٍ
وما تزال دمنْهُورُ دَمنْهُورا

زينب

وعن المرأة في حياة الجارم، يقرر الكاتب أنها لعبت دوراً كبيراً في حياة شاعرنا الكبير علي الجارم؛ فقد كانت أمه من أسرة عريقة في رشيد هي أسرة "السيسي" وقد ساعدته على أن يكون مستقيماً في سلوكه سليماً ونقياً في فطرته وسريرته بأمومتها الطاغية تجاهه، ثم كان لزواجه من السيدة "نفيسة" ابنة السيد علي بدر الدين بك نقيب محامي الإسكندرية حينها أثراً كبيراً في استقراره واحتضان عواطفه وأشجانه، وقد عرف عن الجارم التزامه الشديد تجاه المرأة فلم يكن يسمح لنفسه أن يقع في علاقات مبتذلة أو يتطرق لمداعبات صبيانية، فأنجب منها خمسة ذكور وبنتين، وقد كانت صورة المرأة عنده صورة راقية ومتسامية، ولم يرد اسم امرأة في قصائده تقريباً سوى اسم "زينب" وذلك في قصيدته "العاشق الغضبان" عندما عبر عن غضبه من فتاة لعوب حاولت استغلال جمالها المبتذل فيما لا يليق فقال:

هَجَرَتنا وَهجرنا زَينَبا وصحَا القلبُ الذي كانَ صَبَا
عَلقَت غيري وَترجُو صلتي عَجَباً مما ترجّي عَجَبَا!
هَل يحُلُّ الغمدُ سيفان معاً؟ أو يضمُّ الغيلُ إلا أغلَبَا؟

زجيب محفوظ

ومن المواقف الطريفة والمثيرة في حياة شاعرنا الكبير والتي ربما لا يعرفها الكثيرون ويذكرها الكاتب أنه في إحدى مسابقات الرواية التي يقيمها مجمع اللغة العربية تقدم نجيب محفوظ بثلاث روايات هي "القاهرة الجديدة. خان الخليلي. زقاق المدق" وأجمعت اللجنة على منح جائزة المسابقة لرواية "زقاق المدق" ماعدا الشاعر علي الجارم الذي اعترض على ذلك بل هدد باستقالته معتبراً أن رواية زقاق المدق مليئة بالشخصيات ذوات الأخلاق الفاسدة وأن صاحبها يستحق العقاب أكثر مما يستحق الجائزة وذلك على اعتبار أن غاية الأدب هو نشر النماذج الخلاقة وليس العكس، ولم يكن هذا الموقف لينتهي لولا تدخل عبد القادر المازني باقتراح منح الجائزة على رواية أخرى غير زقاق المدق!!

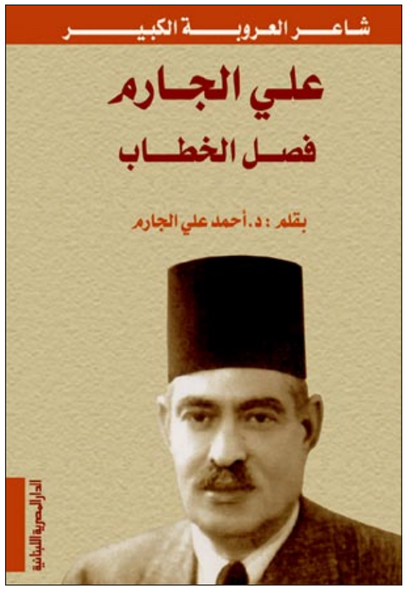

الشيخ إبراهيم الجارم كبير العائلة رفض تزويج بناته للجنرال مينو الفرنساوي

قدم نجيب محفوظ رواياته فرفض الجارم منحه الجائزة

أم كلثوم غنت للجارم قصيدة الحب والحرب وهي أول أغنية تسجل على اسطوانة فونوغراف

الحب والحرب

أما علاقة الجارم بأم كلثوم؛ فقد جاء في الكتاب أن القصائد الشعرية جمعت الجارم بسيدة الغناء العربي أم كلثوم في أكثر من مناسبة لعل أولها قصيدته الشهيرة "الحب والحرب" تلك التي يقول في مطلعها: ما لي فُتنتُ بلحظك الفتّاك وسَلوتُ كلَّ مليحَةٍ إلاك؟ وهي القصيدة التي قام بتلحين بعض أبياتها الدكتور صبري النجريدي طبيب الأسنان والموسيقي المعروف وغنتها أم كلثوم عام ١٩٤٢ ومن حسن الطالع أن هذه الأغنية كانت أول أغنية تسجل على اسطوانات آلة "الفونوغراف" حديثة الاختراع في ذلك الوقت فكان صوت أم كلثوم يدوي بكلماتها من شرفات المنازل في ليالي الصيف الساهرة، ومن شدة إعجاب الشاعر الكبير أحمد شوقي بهذه القصيدة استأذن الجارم في أن ينظم قصيدة من بحرها ووزنها وقافيتها فكانت قصيدة شوقي المشهورة: يا جارة الوادي طربتْ وعادني ما يُشبه الأحلامَ من ذكراكِ والتي غناها ولحنها المطرب الكبير محمد عبد الوهاب، ومن الجدير بالذكر أن أم كلثوم غنت للجارم قصيدة أخرى وذلك في حفل زفاف الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق إلى شاه إيران محمد رضا بهلوي

محنة ووداع

في سبتمبر من عام ١٩٣٥ تعرض الجارم لمحنة تعد هي الأكبر في حياته كلها عندما أصيب نجله البكر "محمد" بحمى التيفود وهو لا يزال طالباً بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول، ولم يكن لهذه الحمى أي علاج معروف في ذلك الوقت فانتقل نجله إلى رحمة الله بعد كفاح مرير دام شهراً كاملاً، وقد أثرت هذه المحنة كثيراً على صحة الجارم فأصيب بسببها بذبحة صدرية وجلطة في الشريان التاجي، وظل بعد ذلك يذكر فقيده في كل قصائده التي رثى فيها أصحابها وأصدقاءه الراحلين في عهده، إلى أن جاء المشهد الأخير في حياة شاعرنا الكبير. كما يروي الكاتب. عندما كان يشارك بقصيدته "وداع" في حفل تأبين محمود فهمي النقراشي. رئيس وزراء مصر. عصر يوم الجمعة الثامن من فبراير ١٩٤٩ وكان ولده "بدر الدين" هو الذي يلقي القصيدة نيابة عنه لمرضه وعندما وصل بدر الدين إلى البيت الذي يقول:

ثُمّ هَادِنّا إنّ الغراسَ وريفةٌ
تُزهى بأكُمٍ دُرّيّةٍ وقِطافِ

إذا برأس الجارمُ الذي كان جالساً في الصف الأول مع الحاضرين تميل على صدره وتصعد روحه الطاهرة إلى بارئها..

قضية سامة

يقدم القصة الحقيقية لإبادة حلبجة

عرض : اوراق

لإبادة حلبجة كان هو غاز الخردل الكبريتي (كلورو إثيل سالفايد) وهو . على حد نقل المؤلف عن التوصيفات العلمية . غاز سائل زيتي ذو رائحة تشبه رائحة الثوم ويتبخر هذا الغاز ببطء شديد يكفي لتغطية المنطقة التي ألقى فيها، بحيث يبقى خطراً لساعات عدة، وحتى لأيام، لكن البخار غير المرئي يتسبب بحدوث الإصابة بسرعة كبيرة، ولا تظهر التأثيرات الحارقة عادة إلا بعد مرور ساعات على الإصابة، ثم تتفاعل هذه التأثيرات حتى تصل إلى درجة إحداث العمى الكامل، وانتشار البثور في الجسم، وتضرر الرئتين، والموت بشكل بطيء في بعض الأحيان . ويشير المؤلف في هذا السياق إلى أن غاز الخردل هذا تسبب خلال الحرب العالمية الأولى في إنزال نحو ١٣٠٠٠٠٠ إصابة، بما في ذلك ٩٠٠٠٠ حالة وفاة، وأن الهجوم الذي وقع علي بلدة " الحاج عمران " العراقية الواقعة على الحدود الإيرانية العراقية قريباً من بيرانشهر، تعد أول حادثة موثقة منذ الحرب العالمية الأولى التي استخدم فيها جيشان تقليديان كبيران الأسلحة الكيميائية .

الصداقة والمعلومات

ويربط الكاتب بين ردة الفعل الغربي تجاه حلبجة من جهة، وبين الصداقة الأمريكية العراقية . السابقة . من جهة أخرى، حتى على مستوى جمع المعلومات عن الأسلحة الكيميائية ؛ حيث يذكر الكاتب أن الصداقة ما بين الولايات المتحدة والعراق أدت إلى التقليل من أهمية جمع المعلومات عن القدرات والأداء العراقيين، كما يذكر الكاتب أن " ويليام أو . ستودمان " . رئيس سابق لوكالة الأمن القومي الأمريكي . أدلى بتصريح يؤكد ما ذهب إليه ؛ حيث صرح ستودمان قائلاً " اعتبرنا العراق دولة حليفة طيلة فترة الحرب الإيرانية . العراقية، لذلك لم يكن العراق ميداناً لجمع المعلومات الأساسية بالنسبة إلينا، ولم تكن لدينا فكرة عن عمق القدرات العراقية، أو توسعها . جمعنا بعض المعلومات على سبيل المراقبة، لكننا لم نشكل معرفة عميقة بتلك القدرات، وهي الأمور التي ينبغي عليك معرفتها إذا ما اضطررت إلى القتال . لم نمتلك ببساطة هذه المعلومات . ولعل هذا ما يفسر ندرة المعلومات عن استخدام العراق للأسلحة الكيميائية " . وبعد إن هذا الكتاب " قضية سامة " يعكس الواقع المؤلم الذي كانت عليه " حلبجة " بسبب الضربات الكيميائية لنظام صدام حسين، كما أنه يحتوي على معلومات أخرى مهمة من أبرزها ثبات السياسة الأمريكية في الكيل بمكيالين في الكثير من الأمور ووفقاً لمصالحها واستراتيجياتها في المنطقة حتى بين الأعداء المتحاربين .

في هذا السياق إلى أنه تحدث مع ستة رجال وصبي نجوا بأعجوبة من ميدان المذبحة (توفى أحدهم فيما بعد في معارك كردية داخلية)، وإلى أنه أعد تقارير مفصلة عن هذه الأحداث، بينما فوجيء بردة الفعل الغربية، ولم يفهم مطلقاً السبب الذي منع الجميع من الاهتمام فعلياً بهذه الأخبار التي رشحها هو، ويتساءل الكاتب هنا : هل من اللائق أن يظل مقتل نحو ٨٠٠٠٠ إنسان بريء، بمن فيهم بضعة آلاف قضوا نتيجة هجوم كيميائي شُنّ على منطقة مكتظة بالمدنيين، مجرد هامش بسيط في مدرى التاريخ؟ لماذا لا يريد أحد الاهتمام بهذه القضية؟ .

غاز الخردل

ويحكي المؤلف كيف أنه قام بزيارات إلى إيران والأردن وإسرائيل خلال العام ٢٠٠٠ بهدف توثيق الفترة المظلمة من تاريخ منطقة حلبجة ؛ حيث تحدث إلى ضباط عسكريين ومخابراتيين ممن يمتلكون معرفة متخصصة بهذا الموضوع، ومن ثم قابل الكاتب أيضاً مجموعة من الأطباء الإيرانيين الذين كرسوا حياتهم المهنية من أجل دراسة التأثيرات بعيدة المدى للغاز السام على وظائف أعضاء الجسم البشري . ويذكر الكاتب أيضاً أن الغاز السام الذي استخدمه صدام حسين وأطباء إيرانيين ومحللي استخبارات أميركية وإسرائيلية .. إنها يوميات للوقائع المروعة والفظائع الحاصلة كما أدلى بها من عاشوا مرارتها القاتلة، حيث تكومت جثث النساء والأطفال في صناديق الشاحنات، وإشارات إلى الرعب الذي زرعه صدام في قلوب الكرد فأفقدهم الثقة بكل ما هو عراقي، ودفع باتجاه انفصالهم عن العراق .

مانشيتات الجريمة

استهل المؤلف كتابه باسترجاع بعض عناوين الصحف العالمية التي اهتمت بذكر الحادثة بعد أسبوع من وقوعها ؛ ففي الواشنطن بوست " الغاز السام يقتل المئات "، وفي الإنترناشيونال هيرالد تريبيون " إيران تتهم العراق بشن هجوم بالغازات السامة، وخسائر فادحة بالأرواح "، وفي التايمز اللندنية " ضحايا الغازات السامة يجمدون أمام الموت "، وفي الميدي ليبري " مذبحة في مدينة كردية نتيجة هجوم كيميائي "، وفي لونوفيل أوبسرفاتوار " جيش صدام حسين يشن هجوماً فظيعاً "، وفي الكوتيديان دي باري " جحيم هجوم كيميائي "، وفي الإيل بايس " هجوم كيميائي على كردستان العراق "، وفي الوايتر زايتونغ " هيروشيما الكردية "، وفي لا يونيتا " حرب إبادة الشعب الكردي "، ثم يذكر الكاتب أنه جاء في مقالة وردت في صحيفة نيويورك تايمز أن العراق يواجه " تهماً موثقة باللجوء إلى الأسلحة الكيميائية " وأنه " يعتبر هذا العمل جريمة حرب وفق كل الاعتبارات " .

الأنفال

ويشير الكاتب بعد ذلك كيف أنه زار إقليم كردستان العراق في العام ١٩٩٢، بصفته مستشاراً لمنظمة هيومان رايتس واتش التي تتخذ من نيويورك مقراً لها، في مهمة تضمنت التجوال في أرجاء الإقليم بحثاً عن ناجين من الكارثة، وإجراء مقابلات معهم من أجل كشف حقيقة تلك الأحداث المروعة التي تعرضوا لها في العام ١٩٨٨، وخلال السياق ذاته يؤكد الكاتب أنه تبين من خلال مهمته تلك أن اسم حلبجة كان يثير أحزاناً كثيرة في نفوس سكان الإقليم، وكيف أن اسماً آخر كان كفيلاً بإظهار الرعب الشديد في نفس كل كردي، هذا الاسم هو " الأنفال "، وهو الاسم الذي أطلق على العملية التي شنها صدام حسين في أواخر أيام الحرب الإيرانية العراقية، والتي هدفت إلى إنهاء المشكلة الكردية نهائياً . ويقرر يوست أن حملة الأنفال أدت في النهاية إلى القتل المنهجي لآلاف المدنيين الكرد الذين أجبروا على مغادرة قراهم في البداية بواسطة الغاز السام، واقتيدوا بعد ذلك إلى مراكز تجمع مؤقتة حيث جرى تصنيفهم بحسب العمر والجنس . ثم نُقل هؤلاء إلى مراكز الإعدام في غرب الصحراء العراقية، أي إلى أماكن تبعد كثيراً عن كردستان .

تواطؤ غربي

ويبدي الكاتب تعجبه ودهشته مما أبداه العالم الغربي من رغبة في عدم ملاحقة القيادة العراقية طيلة فترة العقوبات التي امتدت على مدى عقد التسعينيات من القرن المنصرم، أي في العقد الذي لم يعد فيه صدام حسين صديقاً لأمريكا بعد غزوه الكويت ؛ يقول يوست " بدا هذا الموقف مخيباً للآمال بالنسبة لي، وعلى الأخص بعد أن دونتُ هذه الأعمال الوحشية، وجلست مع الناجين الذين خسروا أفراد أسرهم كافة "، ويشير الكاتب أثناء اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، وفي آذار / مارس ١٩٨٨، حدثت إبادة جماعية لسكان بلدة " حلبجة " النائية في إقليم كردستان العراقي، باستخدام الأسلحة الكيميائية المحرمة دولياً، وكان الفاعل هو صدام حسين مستفيداً من دعم حلفائه الغربيين، الذين شاهدوا ما يحدث في هذه البلدة دون أن يحركوا ساكناً، وهنا تبرز عدة تساؤلات مهمة: هل كان العراق وحده مسؤولاً عن هذه القضية؟ أم كانت هناك أياد تعمل في الخفاء؟ هل كانت الحكومات الغربية على علم بأن العراق يستخدم الغازات السامة؟ هل أقدمت إدارة ريغان على تشجيع هذا الاستخدام، وليس التغاضي عنه فحسب؟ أوليس استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الجيش الإيراني وتغاضي المجتمع الدولي عنه قد أسهم في سعي إيران لإمتلاك أسلحة مماثلة؟.. في هذا الكتاب " قضية سامة " الصادر في أربعمئة وعشرين صفحة من القطع الكبير عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بلبنان من ترجمة سعيد محمد الحسنية، توجد القصة الحقيقية لأحداث هذه القضية كتبها " يوست ر. هيلترمان " أهم المحللين المحنكين والمراقبين المخضرمين الذين عملوا في الشرق الأوسط، والمدير التنفيذي لقسم الأسلحة في مرصد حقوق الإنسان الدولي، وهو ممن يعتمد عليهم صانعو القرار في استقاء المعلومات الموثوقة، والتحليلات المنطقية، وقد استمد مادة الكتاب من إفادات الذين نجوا بمعجزة من الإبادة بعد أن خسروا أفراد أسرهم، ومن وثائق الشرطة السرية العراقية التي ضبطت خلال الانتفاضة الكردية، ومن الزيارات الميدانية إلى أماكن الأحداث، بالإضافة إلى إفادات مجرمين عراقيين

محمد شويكة يفك لغز الجسد "الأيقونة الكبرى" ويحذر من مخاطر الأيقونات الجديدة

عرض : اوراق

تمارس الأيقونات الجديدة على الإنسان المعاصر سلطة قوية تصاحبه وتقتحم عليه عزلته وخصوصيته، وكانت محط عدة تساؤلات ودراسات كثيرة ويدخل كتاب "الإنسان الأيقوني" للناقد والكاتب المغربي محمد شويكة ضمن هذه الدراسات التي خصصت للأيقونات مساحة لها.

ويتناول هذا الكتاب، الذي يقع في ١٢٢ صفحة من الحجم الصغير، وهو العاشر في مسار الكاتب، الصادر مؤخرا عن منشورات دائرة الثقافة والإعلام التابعة لحكومة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، قضايا وإشكالات متعلقة بالخصوص بالجانب البصري والأيقوني لدى الإنسان.

وركز المؤلف على الجسد كأيقونة، وناقش، من خلاله، قضايا فلسفية ولكن من منطلق جمالي محض، مبرزا، في الآن ذاته، انتشار ثقافة الصورة التي صارت آلياتها المادية والمعنوية جزءا لا يتجزأ من خطة تدبير السيطرة على الإنسان اليوم.

وتفسر عناوين فصول الكتاب هذا التوجه الذي اختاره الكاتب، فبالإضافة إلى المقدمة نجد عناوين "الإنسان غير المحتشم" و"الإنسان المنتفي" و"الإنسان عري المكان" و"إنسان الوسائط" و"الإنسان الإشهاري" و"الإنسان الموسمي" و"الإنسان الموضب" و"الإنسان المجسد".

وأوضح شويكة، في حديث لوكالة المغرب العربي للأنباء، أن "منطلق الأيقونة هو الجسد، فالجسد أيقونة"، بل هو "الأيقونة الكبرى"، مشيرا إلى أنه مهتم بالجسد في إطار جمالي وسوسيو-ثقافي معينين، ولا يربط دراسته للأيقونات بالسياق الغربي "خاصة السياق

المسيحي"، فلكل حضارة أيقوناتها، والجسد كأيقونة "يعكس صورة كل حضارة". كما فك شويكة، في كتابه هذا، الارتباط باميتافيزيقا، إذ حصر الاشتغال على الجسد في سياق الثقافة البصرية.

وفي سياق معالجة التكنولوجيات السمعية البصرية للأيقونات، سجل الناقد أن "دلالات الأيقونة متشعبة" ويظهر ذلك من خلال اشتغال السينما مثلا على الجسد كأيقونة كبرى. وفي هذا الصدد، أشار إلى أن الثقافة العربية الإسلامية تدخل الجسد في إطار "ثقافة المنع والمقدس والمدنس" مخضعة الجسد لـ "مفهوم الرقابة"، ما يشكل عائقا أمام التعامل مع الجسد كمعطى طبيعي ينشأ في إطار ثقافة معينة.

واستدل في ذلك على الحكم المسبق، في ثقافة معينة، على الأفلام التي تتضمن مشاهد إيروتيكية على اعتبار أن الجسد يثير الغريزة، وفي المقابل يواجه "الجسد المثقم" في ثقافة أخرى بنفس الأحكام وهو ما يزكي أهمية وضع الجسد في إطارات جمالية وفي سياقه السوسيو-ثقافي".

وهنا يسجل الناقد "خوف" الإنسان العربي من الصورة وهي التي فضحته في الأخير، محيلا على التحولات والأحداث التي شهدها العالم العربي مؤخرا.

إن الصورة التي كانت وراء هذه التحولات، يؤكد اشويكة، "صور غير مؤطرة وكاميرات غير محترفة وهاوية"، ما يستدعي معالجة العلاقة مع الصورة التي هي في الأصل "علاقة مهتزة".

وأبرز، في هذا الصدد، على سبيل المثال، أن البحث الفلسفي المغربي لا يتحدث عن الصورة، ف "مشروع المفكر محمد عابد الجابري يقصي هذه الثقافة، فهو بحث بنية العقل العربي ولم يبحث في الجانب الاستيتيقي بصفة عامة عكس عبد الله العروي الذي أشار في بعض دراساته إلى مرجعيات الصورة، كما فعل عبد الكبير الخطيبي أيضا إلا انها تبقى أبحاثا معزولة".

ويكمن حل مشكلة العلاقة المهتزة مع الصورة، في رأي الناقد، بنهضة على المستوى التربوي وإدراج الثقافة البصرية في المنظومة التربوية وتشجيع فنون النحت والتشكيل.

وعلى الرغم من ذلك، سجل شويكة خطورة الأيقونات، فالكاميرا مثلا كأيقونة حديثة "تؤرخ للحميمي" و"للغائب" و"تؤرخ للأشياء التي لا يمكن رصدها"، كما أنها أداة مراقبة إيديولوجية جديدة وقد تكون أداة للمراقبة الذاتية.-ماب-

وتشجيع ثقافة هذه الأيقونات الجديدة وسيلة تلجأ إليها البلدان لإحكام الطوق على الإنسان المعاصر، فهذه الأيقونات "تعزل الإنسان وتوهمه أن كل شيء بين يديه وهي في حقيقة الأمر تجعله خاضعا لنظام مقنن ومحدد".

وحذر شويكة من مخاطر التمتع بالأيقونات الجديدة "هذه الاشياء الصغيرة التي يظن بها الإنسان أنه يتواصل بها مع العالم في حين أصبح بها ومعها معزولا"، إنها وسائط خالية من الحميمية وتؤدي إلى تواصل تقني يخضع لمساطر تقنوية "هناك سيودونيم في هذه التقاوانية إذ يتواصل الإنسان مع مجهول أو مع رقم من الأرقام، ما قد يؤدي إلى الإدمان الالكتروني ينعكس على الذات في غياب الجانب التربوي.

ولشويكة مؤلفات منها "أطروحات وتجارب حول السينما المغربية" و"الصورة السينمائية .. التقنية والقراءة" ومجازات الصورة .. قراءة في التجربة السينمائية لداوود اولاد السيد" هذا فضلا عن مجاميع قصصية.

مرشح للرئاسة الفرنسية يكتب عن تحديات بلاده

صدر مؤخراً كتاب "مرشح: ولماذا لا؟" للفرنسي باتريك لوزيس بمناسبة الانتخابات الرئاسية الفرنسية القادمة في العام القادم ٢٠١٢، وسيكون مؤلف الكتاب أحد المرشحين لخوضها.

ما يحاوله المؤلف هو جعل هذه المسائل في صلب النقاشات الجارية في فرنسا والمتركّزة تحديدا على مكانة الإسلام والمسلمين في النسيج الاجتماعي الفرنسي، التشخيص الذي يقدمه يصف فرنسا أنها "بلد منقسم على نفسه" وأنها فقدت في السنوات الأخيرة جزءا هاما من "ديناميتها" التي شكلت أحد دعائم تميّزها في العالم..

ما تؤكده التحليلات المقدّمة وفق صحيفة "البيان" الإماراتية هي أن هناك طريقا آخر غير الذي تنزلق نحوه البلاد ويدعو إليه اليمين المتطرف ممثلا خاصة بحزب الجبهة الوطنية التقدمية الذي تقوده ماري لوبن، ابنة جان ماري لوبن مؤسسه، المطلوب كما يحدد المؤلف القول هو عدم استبعاد وتهميش الفرنسيين الذين تعود أصولهم لبلدان أجنبية وغالبيتهم من المستعمرات الفرنسية السابقة، بل على العكس ينبغي تشجيع التنوّع في نسيج المجتمع الفرنسية والمساهمة الفعالة لأقليات في البلاد وازدهارها.

ولا يتردد المؤلف في اعتبار عملية دمج الفرنسيين من أصول إفريقية أو عربية أو أسيوية في النسيج الاجتماعي الفرنسي، إذا لم تحدث اليوم فستكون في الغد.

وعن الرئيس نيكولا ساركوزي يبدي المؤلف دهشته حيال طريق التفرقة الذي سلكه الرئيس عبر عدة تصريحات ومناسبات مثل تخوفه من الزيادة الكبيرة في عدد الولادات لدى الفرنسيين ذوي الأصول الإفريقية، وما يترتب على ذلك على صعيد فرص العمل ووصولا إلى القول ان هذا الواقع يستدعي طرح مسألة الهجرة.

وبعد أن يؤكّد على أن مهمة الرئيس هي التوحيد وليس بثّ التفرقة يشير باتريك لوزيس أن الرئيس ساركوزي كان قد حصل على نسبة كبيرة جدا من أصوات الفرنسيين الذين ينتمون إلى أقليات إفريقية أو عربية أو أسيوية عام ٢٠٠٧. لكن الأمر قد لا يتكرر في انتخابات عام ٢٠١٢ على خلفية خيبة الأمل.

كنوز المدى

طبقات فحول الشعراء

تأليف: محمد بن سلاّم الجمحي
مراجعة : باسم عبد الحميد حمّودي

ولد الجمحي في البصرة سنة ١٣٩ للهجرة وتتلمذ على أيدي فحولها من النحاة والنقاد وتوفى فيها بعد أكثر من تسعين عاما سنة ٢٣١ .

يعد الدارسون كتابه (طبقات فحول الشعراء) أول كتاب نقدي في موضوعه بالعربية حيث فتح الطريق امام كتب الطبقات الاخرى .

قسم ابن سلاّم الشعراء الى جاهليين واسلاميين،وقسم الجاهليين الى عشر طبقات وكذلك شعراء العصور الاسلامية مميزا بين شعر الصحراء والمدن حيث درس شعراء مكة والمدينة والبحرين والطائف ،ومن عجب أنه لم يخصص لشعراءمن الغساسنة والمناذرة فصلا رغم أنه درسهم في السياق .

قال ابن سلاّم أن بعض الشعرمقتل موضوع ، واعتبر قدم الشاعر واحدا من خصائصه ، وكذلك كثرة اغراضه والكم الشعري المنتج وشرف الشاعر ، وهي خصائص لاتمت لشاعرية الشاعر بصلة فليست كثرة شعر الشاعر مقياسا ولا شرفه بل القياس هو الشاعرية وعلو الكعب فنيا .

اشار بين سلام في غير موضع الى خلف الاحمر وحماد عجرد وغيرهما من ناحلي الشعر فقال محللا:

((فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها أستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعم واشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار ثم كانت الرواة فزادوا في الاشعار التي قيلت)) وقال أيضا: ((كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حمّاد الراوية وكان غيرموثوق به: كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الاشعار)) . ويأتي ابن سلاّم بمثال فيقول : ((قدم حمّاد البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها – ويعني واليها – فقال : ما أطرفتني شيئا فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى فقال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به ، وأنا أروي شعر الحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب في الناس))

الحواري متعدد الأصوات

ميخائيل باختين: الكلمة في العالم

أصبح ميخائيل باختين، في العقود الثلاثة الماضية، صناعة أكثر مما هو فرد. في الواقع، إنه ليس صناعة فحسب بل أيضاً مؤسسة مزدهرة تخطت الحدود القومية، متكاملة بمدارئها التنفيذيين الجوالين وأعرافها العالمية وصحيفتها الداخلية الخاصة. وفي ميدان النظرية الثقافية أصبح ضحية الستالينية هذا ذا شأن كبير الآن، وأغلب المصطلحات الطويلة التي صاغها - الحوارية، الثنائية الصوتية، الكرونوتوب(١)، التعددية اللسانية، النبر المتعدد- دخلت في معجم النقد المعاصر. ثمة زمرة عالمية من الدارسين، بعضهم سخر حياته لنصوصه، كافحت طويلا من أجل أن تجعله مناسبا لأجندتها. هل هو من أتباع الماركسية أم الكانتية الجديدة أم المذهب الإنساني الديني؟ هل هو منظر للخطاب أدبي أم مفكر أخلاقي؟ هل هو من أتباع علم الاجتماع الثقافي أم الأنتربولوجيا الفلسفية أم يجمع كل هذه الحقول؟

ترجمة: زجاح الجبيلي

إن كون هذا الفقيه اللغوي السوفيتي الغامض فيما مضى هو الآن نجم الغرب ما بعد الحداثي هو أمر أقل دهشة مما قد يبدو. لأنه نادرا ما يوجد موضوع مابعد حداثي ساخن لم يتوقعه باختين. الخطاب، التهجين، الأخرية، الجنسانية، التدمير، الانحراف، المغايرة، الثقافة الشعبية، الجسد، الذات فاقدة المركز، مادية العلامة، التمركز حول التاريخ، الحياة اليومية. إن هذا الرجل ما بعد البنائي مبكر النضج، كما يسميه غراهام بيتشي، تنبأ بالكثير في عصورنا. إذ أن من المدهش أن لا نجد تلميحات في أعماله إلى "بووش و بيكس"(٢). ولأن القليل من هذه الثقافة هي نتيجة مباشرة لتأثيره، فقد يزعم المرء بأنه إن لم يكن باختين موجوداً فلن تكون حاجة لاكتشافه.

لماذا هذا التوازي الغريب بين عصر الإرهاب الستاليني وعهد الـ ipod....؟(٣) والجواب واضح تماماً. ولأن مؤلفات باختين هي نقد مشفر للاستبداد السوفيتي، فإن ما بعد الحداثة تنبع في جزء كبير منها من مسار الماركسية الحديث. وفي أعمال بودوياز وليوتار وآخرين بدأت كعقيدة بديلة لليساريين المتحررين من الوهم. وهوسها بالخطاب يكون مفهوماً في عمر قصير من الفعل السياسي. وبدلا من أن يطلقوا النار على الحرم الجامعية فإن الطلاب الأمريكان الآن يطهّرون كلامهم من الخطأ. وإذا كانت الماركسية قد تصرفت بحياء إزاء الجنسانية، فإن ما بعد الحداثة قد جعلتها فيتشاً(٤). إن الجسد الدافئ المرغوب الملموس هو توبيخ فعال لكل تلك التجريدات الشاحبة عن النمط الآسيوي للإنتاج. وبدلا من السرود الكبرى التي أدت إلى الكولاك(٥) لدينا جمع من السرود الصغرى. ولأن الحقائق المذهبية المطلقة تمزق الأجساد، فإن النسبية هي نظام اليوم. فإن يكن الشاذون جنسياً المخصيون هم جزء من ثقافتك، فإن معارضتي هذا الأمر ستدخل في باب التمركز حول العرق. لم تعد الثورة داخلة في الأجندة، لكن التدميرات المشتتة قد تقف بموا جهتها. سياسة الطبقة تصرف لسياسة الهوية. ولا يمكن إسقاط النظام، لكن في الأقل يمكن تفكيكه. ولأنه ليس هناك أمل سياسي في قلب أراضي الرأسمالية، حيث رفعت البروليتاريا اللصقات دون أن تترك عناوناً للإرسال، فإن النظرة ما بعد الحداثية تتحول على نحو ساحر إلى "الآخر" مهما يكن الجواز (المرأة، الشاذ جنسياً، الأقلية العرقية) الذي يصدف أن تسافر به.

كان باختين طابوراً خامساً أيضاً. فقد ولد في مدينة روسية أقليمية تدعى "أوريل" عام ١٨٩٥ وهو ابن لنبيل بلا لقب تحول إلى مصرفي. وقد درس الكلاسيكيات في جامعة بطرسبورغ. تزامنت سنواته كطالب مع الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية. إن باختين والبلاشفة والمستقبليين والشكلانيين برزوا تقريباً من اللحظة التاريخية المتفجرة نفسها. وعلى الرغم من أنه مسيحي أرثوذوكسي روسي مخلص أكثر مما هو ماركسي، إلا أن باختين عاش خلال فترة من التركيب الثقافي الساحق الذي لم يكن فيه الاتحاد بين الشيوعية والمسيح مستحيلاً. فإن لم يكن بالضبط مادياً تاريخياً، فإن تفكيره هو تاريخي ومادي في الوقت نفسه.

إن النزعة الاشتراكية الشديدة للكنيسة الروسية وبموازاة روحانية أحاسيسها، أدت دورها في هذا الاتحاد. وهكذا كان مذهبها شبه المادي في قداسة المادي. كانت عقيدة مجدت إنسانية المسيح والغنى المعقد للحياة اليومية. ووراء افتتان باختين بمادية الكلمة، كما يوحي عنوان كتاب "بيتشي"، يكمن لاهوت متجسد. إن الجسد المصنوع من الكلمة هو الصورة في سجادة أعماله.

بعد الثورة عمل باختين في عدد من المدن صغيرة، يتعقبه الفقر وصحته المتردية. كان يعاني من التهاب العظام، وقد بترت إحدى ساقيه عام ١٩٣٨. هذا المحتقل بالجسد كان بهيئة فقيرة جداً. كان أيضاً مدخناً مدمناً، وهي العادة التي جعلته في النهاية يصاب بانتفاخ الرئة. وعلى الرغم من أن إعجابه بالاحتفالات الرابلية إلا أنه بدا لا يحبى على شيء سوى الشاي الذي يرتشف منه الكثير. وبسبب حرمانه من أوراق السجائر في الحرب العالمية الثانية فهو حرم الأجيال القادمة من بعض من التبصرات التي لا تقدر بثمن بسبب تمزيقه أحدى مخطوطاته لكي يستعملها كورق للسجائر.

في مدينة "نيفل" درّس باختين في مدرسة؛ وحاضر في معهد للتعليم في مدينة "فتيسك". وحين كان مقبولا لدى النظام السوفيتي في هذه المرحلة المبكرة، قام بإدارة حلقة أدبية في محلية الحزب الشيوعي وأعطى دروساً في علم الجمال إلى العاملين في حقل الفنون. وفي عام ١٩٢٤ رجع إلى سانت بطرسبورغ واقتصد في العيش في بنسيون موحش صغير بإلقاء المحاضرات إلى جماعات غير رسمية في شقق خاصة. وهنا، كما دائماً، كان محاطا بمجموعة مغلقة من الكتاب الفوضويين والمثقفين الغريبين. في الواقع أن قصة حياته هي حكاية واحدة من شلة

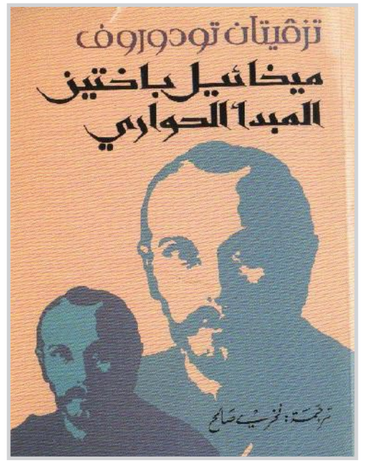

لآخرى. وبدوا أنهم يتشكلون عفوياً من حوله مهما تكن حالة الركود اليائسة الذي صادف أن تدهور بها. كان رجلاً مارس الحوارية ووعظ بها. غير أنه في أواخر العشرينات بدا أن هناك نوعا من التدين في دعت له حلقته كان في حالة ازدراء متزايد من الدولة؛ وفي عام ١٩٢٩ قبض على باختين بسبب عضويته في حلقة دينية، وكانت التهمة نزعتها ضد الشيوعية وإفساد الشباب بتعليمها. إن المفكر الذي لديه أفكار في الحوارية والسخرية المدمرة والكلام غير المباشر الذي يذكر بسقراط بدا الآن على وشك أن يعاني من نفس مصير سلفه.

كان كتاب باختين المتوقع عن دوستويفسكي هو الذي أنقذه من موت مؤكد في معسكر الاعتقال. فقد ظهرت دراسته العظيمة عن شعرية دوستويفسكي بتدخل إلهي في سنة القبض عليه، حررته من الخطر مراجعة لـ" أناتولي لوناتشارسكي" عضو لجنة التربية ومنظر ثقافة الهواة أطرت الكتاب.

وبعد أن نجا من معسكرات الاعتقال حكم عليه بدلاً من ذلك بست سنوات في منفى معتدل نسبياً في كازاخستان. وبسبب اتهامه بتخريب فكر الأطفال فقد منع من التعليم هناك؛ لكن زوجته "ألينا الكسندروفنا" عملت في مهن غريبة لكي يبقى الزوجين على قيد الحياة، وهذه المتحمسة لذاتي وغوته انتهى بها الأمر إلى تعليم المحاسبة لمربي الخنازير كجزء من الجهد الجماعي. وبعد أن أنهى محكوميته في كازاخستان استقرّ في "سارانسك" حيث عاش لفترة وجيزة في سجن مهجور ودرّس في المعهد التربوي في قسم الأدب العالمي. كذلك أعطى المحاضرات عن علم الجمال إلى العمال في مصنع المصابيح وأكتسب شيئا من الموهبة المحلية. ومن هناك، وفي ذروة عملية "التطهير الكبير" في الثلاثينات أخذته جولاته إلى "سافيلوفو" في جمهورية مولدافيا حيث عانى من الفقر حد الجوع دون أي كرم من أصدقاءه.

وخلال تلك الفترة كان باختين يشتغل على رسالة الدكتوراه التي أصبحت بعنوان "رابليه وعالمه"؛ وفي عام ١٩٤٦ أرسل الرسالة للفحص وقد استاء ممتحنوه بسبب معالجته الموضوعات الداعرة والصراحة الجنسية والسنتمنتالية(٦) الفولكلورية وازدرائه للعقيدة ومنح الدكتوراه بعد ١٢ سنة. لم يكن تأهيله التدريجي قد أصبح سارياً حتى الستينيات، جزئيا عن طريق المكاتب الجيدة للدارس الشكاني "رومان جاكوبسون". إن المتحمسين لباختين في الاتحاد السوفيتي، في الأقل لم يدرك واحد منهم أن الرجل العظيم لا يزال حيا، أصروا من أجل إعادة نشر كتاب "دوستويفسكي" الذي رأى النور ثانية عام ١٩٦٣ بعد صراع طويل مع السلطات. وبعد حملة ضغط شديد ظهر كتاب "رابليه" أخيراً أيضاً وقد جرى تهذيبه من العبارات الداعرة.

تفاقم مرض باختين وزوجه وأمنا لهما مكانين في مستشفى موسكو بمساعدة ابنة يوري أندروبوف. وقد انتقلا من هناك إلى بيت لكبار السن كان مجوزاً اعتيادياً لنزلاء من العالم الثالث ومنحا أخيراً مسكناً في موسكو.

ولأن الحياة والموت يتواشجان في رؤية باختين الكرنفالية فإن مكانته ازدهرت بينما جسده اضمحل. وبينما كان يجله الدارسون الأدبيون ويطلبه الشكلانيون الكبار ويزعم به المفكرون الشباب، توفي عام ١٩٧٥ حين كانت النظرية الأدبية ترتقي عالياً في الغرب. وكانت كلماته الأخيرة، على الرغم من أنه أنكر في أعماله وجود شيء مثل الكلمة الأخيرة، "أنا ذاهب إليك". واتخذ أتباع باختين الدينيين كلمة "إليك" لتعني الرب؛ أما إتباعه الماركسيون فقد اتخذوها لتعني زوجته التي ماتت قبله بأربع سنوات. إن مفهوم باختين الرئيس عن الحوارية لا يعني إعطاء إذن صاغية للآخرين، كما تصورها بعض من المعلقين الأكثر ليبرالية. بل يعني أن أي كلمة أو تلفظ تتغير طبقتها من خلال عدد كبير من المصطلحات المضادة الأخرى والتي من خلال معانيها فقط تستطيع فهمها. لهذا فهي تحمل علاقة مع مفهوم ما به البنيوية عن التناص. لا يمكن أن تكون هناك حقيقة غير موسّطة (مباشرة). نحن نأتي لأنفسنا كما زعم العديد من المفكرين المعاصرين، من خلال وسط غريب جداً عنا. إن اللغة بالنسبة لباختين هي حلبة صراع للقوى المتنازعة، لأن كل تلفظ يجد نفسه مشغولا من الداخل بالدلالات الغريبة.كل علامة تنظر جانبا للعلامات الأخرى، وتحمل آثارها ضمن جسدها، وتقف بصورة متزامنة بموا جهة المتكلم والهدف والسياق والمرسل إليه. ومثل الموضوعات الإنسانية تتكون الكلمات بوساطة علاقاتها بالآخر، واللغة دائماً مسامية هجينة وذات نهايات مفتوحة. لم تكن هناك أبداً كلمة أولى ولن تكون هناك كلمة أخيرة. إن عدم الكمال المتأصل في اللغة وعشوائيتها – حقيقة أني لن أستطيع أن استنتج من أي كلمتين من كلماتك عما ستكون الكلمة الثالثة – هي علامة على الحرية الإنسانية، والسياسية بالمعنى الواسع للكلمة. لن تكون العلامات متطابقة ذاتياً، ودائما تعني أكثر مما تقال (فائض يحتوي ما لم يقال). الخصم هو ما يدعوه باختين "المونولوجية" وتعني نوعا من اللغة الواصفة التي تبحث عن التغلب على هذا التغاير الذي لا يمكن كبحه. أحياناً ترد في عمله، إنها كلمة مهذبة من أجل الستالينية. اللغة ممزقة بين القوى "الطاردة للمركز" و"الجاذبة له" – الأولى تفكك المركز والأخرى تعززه. اللغة الوطنية تطمح أن تكون مونولوجية لكنها في الحقيقة "متعددة اللسان" تماماً وهي تولّد تعددية من اللهجات وأساليب الكلام. في كل هذه الطرق يعد عمل باختين انتقالا مهماً من اللغة إلى الخطاب. وبينما اختصر سوسير وتابعوه اللغة إلى نظام شكلي لا سياق له، كان باختين فاهماً كل شيء في اللغة التي لا يمكن شكلنتها: السياق، التنغيم، التضمين، مادية الكلمة، المالايقال، الافتراضية، التقييمات الإيديولوجية والعلاقات الاجتماعية بين المتكلمين. إن كان الاتصال هو الذي يجعلنا إنسانيين، فلا يمكن للغويات أن تنفصل تماماً عن الأخلاق.

العلامة اللفظية عندئذ هي "ثنائية الصوت"، قوة غير مستقرة تعيش فقط في توجيهها إلى العلامات الأخرى.

إن اهتمامات باختين الثقافية تركزت بالنتيجة على هذه الأشكال- الكرنفال، الهجاء المنيبي(٧)، الرواية وهكذا – التي تمثل السباق الكبير "متعدد الأصوات" للخطابات، مع شكل واحد من الدلالة التي تفكك مركز الآخر وتجعله نسبيا، نوع من المصطلح يغزو و يدمر ويصف ويؤطر ويعطي ما حوله.إن الاسم الأدبي الرئيس لهذا هو الرواية،هذا النوع الممتزج الذي – خلافا للملحمي والريفي أو التراجيدي – هو تماماً بلا قوانين، وهو في نظر باختين شكل أقل قابلية على التعريف من قوة تفكيكية. الرواية تعيش بصورة خالصة في علاقتها الحوارية بالأنماط الأدبية الأخرى، تفترسها وتحاكيها محاكاة ساخرة.إنها ثائرة ضد النوع، منحرفة غير تابعة لقانون، كتاب مقدس دنيوي تظهر فيه كل الخطابات كونها جزئية عابرة.

وفي رأي باختين ليس من الصدفة بأن هذا التصادم الكبير للصيغ اللفظية تنشأ في كل من العصر الهيليني وعصر النهضة من بقايا نظام أيديولوجي رسمي.

في كتاب "رابليه وعصره"،حفلة الدلالة هذه تلجأ إلى الشارع في صيغة الكرنفال. في التقليد الروسي من الأحمق المقدس فإن الفن القديم للشعب يعرض الدال المتعالي ويخضع كل القيم الرسمية إلى المحاكاة الساخرة الهجائية. وهو مثل الرواية، يحتفي بالتغير والتحول، الحركي والقلق .كل القيم المطلقة يجري تسفيهها وجعلها نسبية. وإزاء العقلية الرفيعة للمذهب الرسمي ينحفر السلاح القوي للضحكة. التقليد الساخر، التشويه، العكس (الفم/ القضيب، الوجه/ الردفان، المقدس/ الدنس، الرجل/ المرأة، الثقافة الرفيعة/ الثقافة المنحطة) تثور للحظة نشطة خلال الطرق الجانبية والأسواق. التعارضات الثابتة تتجرد بصعوبة. الولادة والموت، الهدم والتجديد، الجسد والروح، الحكمة والحماقة، الشرجي والمائكني ترسل معبئة ونيولها في أفواه الأخرى. الفتحات تظهر كأماكن حيث الأجساد تتعدى حدودها وتمتزج بنشوة بعضها ببعض. كل شيء عن المارسما هو غامض. خادع مراوغ جداً يأبى الوصف. الكرنفال يحط من قيمة السامي والهائل؛ وما وراء هذا الحط من قيمة السامي تكمن عواطف الإنجيل المسيحي الذي من أجله يهبط الخلاص إلى هدية على شكل قدح من الماء. ولكونها اللحظة الأولى في التاريخ المكرسة للحياة اليومية تقف المسيحية في أصل انهماك باختين بالحياة اليومية تماماً كما تجثم بعيدة خلف الافتتان الحالي بالثقافة الشعبية.

من المحتمل أن أفضل كتاب صدر في بريطانيا حتى الآن عن باختين هو كتاب "كين هيرشكوب" "ميخائيل باختين : جمالي من أجل الديمقراطية" في عام ١٩٩٩. ويتفوق كتاب هيرشكوب على دراسة بيشي من عدة طرق. من جهة أن هيرشكوب خلافاً لبيشي يقرأ الروسية وقضى فراغه في مكتبات موسكو. ومن جهة أخرى، يكتب هيرشكوب نثرا مشرقاً وديعاً بينما بلاغة بيشي المزخرفة الماكرة تبحر أحياناً قريبة من الإطناب .كانت له أذن تواقة جداً إلى العبارة ذات التردد المهيب وأحياناً يستطيع أيضاً أن يمزج بلطف الكهنوتي بالنغمة مثل عبارة " العجرفة الآثمة للعقل الحديث تنتج في القرن العشرين البدع الإرهابية لسياساتها المميزة". وعلى الرغم من إعجابه بباختين إلا أن هيرشكوب يمكن أن يكون ناقداً حادا له بينما نادراً ما يوجه بيرشي كلمة سيئة بحقه. إن المفكر المثالي تقريبا الذي يقدمه لنا بعيد عن أن يكون ناقصا، ناشئا، غامضاً ومتناقضاً بينما يجيد هيرشكوب عمليا صقل تحولات باختين وهناته.

وأخيراً وعلى الرغم من أن هيرشكوب ماركسي إلا أنه لا يميل إلى سرقة باختين من موقعه؛ بينما بيشي، وهو الماركسي المتحول إلى مسيحي، يتوق إلى عمل ذلك بالضبط. إن كتاب" ميخائيل باختين: الكلمة في العالم" هو دراسة مميزة دقيقة لحدة الذهن الفكرية الهائلة؛ لكن تحت نثرها الأكاديمي المعقد يكمن أيضاً شأن مخلص عميق.

يناقش بيشي على نحو مقنع بأن باختين بعيد عن إعادة كتابة تاريخ الحداثة. الأيستمولوجيا تخضع لعلم الجمال، لأن العقل التجريدي للتنوير يحل محل الميزة الحسية للفن. إن العقلانية الأداتية القاسية تفسح الطريق لشكل من العقل الاتصالي والموضوع المستقل المضلل للعصر الحديث يسقط عن طريق الذات الحوارية. وفي كل هذه الوسائل يصبح الجمال في العصر الحديث هو مخزن الأشكال المفقودة والمهمشة للمعرفة. ويؤكد بيشي هذه الحالة بمهارة وقوة؛ لكنه لا يستطيع أن يقاوم إلصاق وصمة الشر بمنافسيه المختلفين بأشد الأشكال السائدة الفاقدة للحوارية.إن العمل الأصلي الوافر والمعيب للشكلانيين الروس يجري استبعاده كونه نقداً تكنوقراطيا. في الواقع، يعقد الكتاب توازا مهينا بينهم وبين الستالينيين. كل الرواد (رينبو؟ التكعيبية؟ السرياليه؟) يجب أن ينذهبوا إلى الجحيم (لغة بيشي الخاصة) كونهم يتبنون اللينينية الأدبية، ومتآمرين في المشاريع المحمدثة نفسها التي قصدوا تحديها. هذا الكاريكاتير العفوي المرتجل قد يكون مفاجأة لمايكوفسكي الذي انتحر عام ١٩٣٠ بينما كانت سيطرة ستالين تتقوى. إن بيشي يخفق في إدراك التعقيد الحقيقي لحداثة أوربية هي حداثة متطرفة وحداثة مضادة في الوقت نفسه. فالحداثة موضوع " الأفكار التجريدية والأبستمولوجية الشاحبة" ولا يقال شيء لصالح التنوير (الديمقراطية؟ النسوية؟ الليبرالية الحقوق العامة؟) وعلى الرغم من أن باختين عانى من اللامنطقية الوحشية للنظام السوفيتي فإننا مدعوون للإعجاب "بأي جماعة لها داع في الشك بالعقل".

على الرغم من أن بيشي يريد أن ينقذ باختين من الوصمة الألطف للماركسية إلا أنه متناقض إلى حد ما في هذه الملاحظة. والإيحاء أن باختين كتب أثنين من النصوص الماركسية تحت اسمي أثنين من زملائه قد جرى التبرؤ منها باستهزاء كونها "وهما". إلا أنه في مكان آخر يقول أن هذين العملين " أثاره". وحقيقة أن باختين قد رحب بالثورة البلشفية بطريقته المثالية مرت دون ذكر. ويؤكد لنا بيشي بصلابة إلى حد ما بأنه لا يريد أن "يسيس" عمل مؤلفه. ومع ذلك فهو يقرأها أكثر من مرة كونها جدلا ضد السوفيت، وحتى أنه يقر بأن باختين ملتزم بنوع من "الماركسية شبه الغريبة" .وفي مكان آخر في الكتاب فإن الصيغة الحكيمة تصبح، أكثر تهوراً إذ تعدّ باختين في وطنه و"أرثوذوكسية التدمير" التي تعارضها. إن التحرر من وهم المؤتمر الوطني الأفريقي، ومع ذلك التحول نحو اليمين المعروف بازدياد أكبر، قد يكون أدى دوره في التحول من الماركسية إلى المسيحية. وعلى الرغم من أن باختين أيضاً قد تحول من عاطفة بعيدة للماركسية إلى خصومة غير مفهومة لها، إلا أن الكتاب قد يكون له بعده السيرذاتي.

في كل تعارضاتها الناضية فإن دراسة بيشي إنجاز فكري، وهي ثمرة مفكر يتأمل طويلا وعميقاً في موضوعه. غير أن المرء قد يتذكر أن لا شيء إيجابياً أصلاً عن التغير والديناميكية والتعددية والتهجين والنهاية المفتوحة. ما تغير منذ زمن باختين أنه إن كانت هذه ذات مرة هي بدائل للنظام فإنها الآن ملازمة تماماً له، على الرغم من أن لا بيشي ولا ما بعد الحداثيين لاحظوا ذلك.لا يوجد نظام أكثر حبا للتعدد والديناميكية من الرأسمالية المتأخرة. وقد يتذكر المرء أيضاً أن الفضيلة الوحيدة للماركسية كانت إصرارها على أن لا حاجة هناك لترقيع حداثة بديلة لأن هذا البديل يكمن عميقاً في الحداثة نفسها. إن القوى نفسها التي خلقت لأجل البؤس الإنساني والظلم يمكن أن تخلق أيضا من أجل الانعتاق والسعادة. وأخيراً ربما يكون هذا هو الشكل الجريء للحوارية.

هوامش المترجم:

(١) الكرونوتوب : Chronotope هو نوع زماني- مكاني يشمل مجموعة من المظاهر المحددة الخاصة بالزمان والمكان في النوع الأدبي.

(٢) Posh & Becks : بووش هو الإسم الغنائي لفكتوريا بيكهام حين كانت في فرقة "سبايس غيلز" وبيكس هو مختصر إسم ديفيد بيكهام لاعب كرة القدم الإنكليزي المشهور. ضمنت هذه العبارة في قاموس كولينز عام ٢٠٠١ وتستعمل الى مشهدية كرنفالية". وعند الحديث عن فرانسوا ساغان يبدأ المؤلف من لحظة رحيلها عن هذا العالم بعد حياة متمردة، مبرقشة بالأضواء والفضائح: "ماتت الصغيرة التي خلخلت بصراحتها الجارحة وإنشائها المغري معايير الآباء وأخلاقهم، ماتت التي هزت بكلماتها الماجنة ذات المعنى المزدوج جيلاً من المتطهرين".

وبالصخب ذاته يدخلخورخه لويس بورخس الحفلة "لقد دخل الحفلة أبو الهول العجوز: ناسج الحكايات، وصانع الأحلام، وفاضح غرور البشر، دخل وهو يقول: عمري ٨٤ عاماً، وقد توفي أصدقائي جميعهم. عندما أفكر بهم أتخيلهم كأشباح. جميعنا أشباح، أليس كذلك؟".

سيقبل أيضا سولجنستن العالق بين تولستوي وديستويفسكي، وأليوت الآتي "من العقم العاطفي إلى الأرض الخراب"، وكامو الذي طبع "العصر الحديث بنزعته العدمية المتشككة".. سيقتحم الحفلة البوهيمي الملعون هنري ميللر، وكاتب "المهمشين والمعذبين والمقصيين والمغيبين" تشارلس بوكوفسكي. والصعلوك اللص خريج السجون، الشاذ، ذو البلاغة العالية جان جينيه، والتركي الذي مزج التاريخ بالسياسة بالسيرة الذاتية بالخيال السردي الخلاق أورهان باموق..

سيتقاطر على الصالة البانخة آخرون وآخرون من غير أن يأبه بهم أحد، بعد أن يكون علي بدر قد نسي أمر حفلته، لكنه يهبنا مع حضور كل كاتب (أو كاتبة) منهم قدراً غير قليل من نشوة القراءة وعافيتها.

(٣) ماركة لمشغلات ميديا محمولة من إنتاج شركة أبل أكتوبر عام ٢٠٠١

(٤) fetish : أي شيء يعتقده شخص أو جماعة بأنه يمتلك قوى سحرية.

(٥) Gulag: نظام السجون ومعسكرات الأشغال الشاقة وبالأخص للسجناء السياسيين في الاتحاد السوفيتي سابقاً.

(٦) العاطفية المفرطة

(٧) Menippean Satire نسبة إلى الشاعر اليوناني مينيبوس وهي هجائية يمتزج فيها الشعر بالنثر و الهجاء بالسخرية والجد بالهزل.

تيري إيجلتون: بروفسور الأدب الإنكليزي في جامعة مانشستر.

أحدث كتبه: "كيف نقرأ قصيدة؟" ترجم له إلى العربية كتاب " مقدمة في النظرية الأدبية"

المصدر:
London Review of Books- 21 June. 2007

آفـــــــاق

رامبو، ساغان، بورخس، وآخرون

سعد محمد رحيم

كان يمكن لعلي بدر في كتابه (بطاقة دخول إلى حفلة المشاهير) أن يجعل من حفلته أكثر إثارة ومتعة بتوسيع وصفه لها، وتحديد كيفية توزع مشاهير الكتابة المشاركين في أرجاء الصالة، وبتخيل حوارات ساخنة تدور بينهم، أو حصول مفارقات وحوادث صغيرة ذات دلالة يكونون أبطالها مستلة من أفكارهم ومواقفهم وسيرهم. وعدم الاقتصار على إيراد إشارات مقتضبة عن الحفلة في بدء دخول كل كاتب (أو كاتبة) كما في الكتاب، حيث يشرع المؤلفبعد تلك الإشارة بالاسترسال في التحدث عن ذلك الكاتب (أو الكاتبة) باستخدام أسلوب المقالة المشبعةبلغتهاللماحةالطريةوأسلوب هاالرشيقالدافق، وكأن كل واحد منهم يقف أو يجلس بعيداً عن صاحبه. وكان هذا بحاجة إلى جهد لم يشأ علي بدر أن يبذله على الرغم منبراعتهفيالسردوسعةخياله. وحتى هذه الإشارة العابرة، والتي ستبدو فيما بعد مقحمة، سيتخلى عنها في منتصف الكتاب لتكون حينئذ مع مقالات متتابعة، لا يربطها رابط منهجي أو موضوعي، عن كتّاب وكاتبات تركوا بصماتهم في تاريخ الأدب العالمي واستحقوا الشهرة التي حظوا بها. بعد أبولنير الذي يحتفي به المؤلف، ويخصه بإعجابه، يفاجئ رامبو ضيوف الحفلة وهو يظهر أمامهم بحذاء مثقوب وقدم متهرئة، محدثاً صدمة بينهم "كما صدم معاصريه بشفافيته التي لا حد لها، بالقوة البرومثية التي لا تنضب، بعنفه وقوته التي لا تدجّن، بخياله الذي اتسع حتى لم تعد مدينته قادرة على تحمله".

في بواكير حياته الشعرية، وهو مراهق، مارس رامبو أشد أنواع الموبقات، مصادقاً الشحاذين واللصوص وشذاذ الآفاق وقطاع الطرق.. كان فظا متغطرساً منبوذاً في هذه الأونة.. كان يلعب باللغة، مقوِّضاً ما تبيس في شجرتها، ناحتاً لغة أخرى مدهشة، حادة كالشفرة، جارحة ورائية، تضيئ أعماق النفس المظلمة وتكشف هول الوجود. وكان ثمة اتساق بين حياته وشعره حتى إذا بلغ العشرين ضاق ذرعاً بأوروبا، وبالشعر، ليغادرهما معاً في رحلة مغامرة شيقة وقاسية ومميتة إلى الشرق ليغدو بتوصيف علي بدر "التاجر الملعون في عدن والحبشة وهرر، أصبح الكولونيالي الذي يسوق الرعايا الملونين في البلاد البعيدة ويخدم مصالح المستعمرين".

يسبغ المؤلف على ضيوف حفلته صفات عظمة مبهرجة، رنانة، تجعلهم شخصيات لها قوتها وفرادتها كما لو أنهم سحرة مهيبين، أو أبطال معارك ملحمية قدموا، مغبرين، عليهم آثار جروح،ويحملون رايات انتصارات كبرى.. إنها شخصيات لها حضورها الإبداعي اللافت. وهكذا بعد إدوارد سعيد "يدخل حكواتي الغشاشين وجندي طريق فلاندر.. بعد سعيد يدخل كلود سيمون... هو كاتب النصوص المدهشة ذات القوة الخارقة، والروايات الطويلة ذات العظمة شبه الملحمية. روائي العنف الذي حوّل الحدث الطارئ في التاريخ الفرنسي إلى مشهدية كرنفالية". وعند الحديث عن فرانسوا ساغان يبدأ المؤلف من لحظة رحيلها عن هذا العالم بعد حياة متمردة، مبرقشة بالأضواء والفضائح: "ماتت الصغيرة التي خلخلت بصراحتها الجارحة وإنشائها المغري معايير الآباء وأخلاقهم، ماتت التي هزت بكلماتها الماجنة ذات المعنى المزدوج جيلاً من المتطهرين".

وبالصخب ذاته يدخلخورخه لويس بورخس الحفلة "لقد دخل الحفلة أبو الهول العجوز: ناسج الحكايات، وصانع الأحلام، وفاضح غرور البشر، دخل وهو يقول: عمري ٨٤ عاماً، وقد توفي أصدقائي جميعهم. عندما أفكر بهم أتخيلهم كأشباح. جميعنا أشباح، أليس كذلك؟".

سيقبل أيضا سولجنستن العالق بين تولستوي وديستويفسكي، وأليوت الآتي "من العقم العاطفي إلى الأرض الخراب"، وكامو الذي طبع "العصر الحديث بنزعته العدمية المتشككة".. سيقتحم الحفلة البوهيمي الملعون هنري ميللر، وكاتب "المهمشين والمعذبين والمقصيين والمغيبين" تشارلس بوكوفسكي. والصعلوك اللص خريج السجون، الشاذ، ذو البلاغة العالية جان جينيه، والتركي الذي مزج التاريخ بالسياسة بالسيرة الذاتية بالخيال السردي الخلاق أورهان باموق..

سيتقاطر على الصالة البانخة آخرون وآخرون من غير أن يأبه بهم أحد، بعد أن يكون علي بدر قد نسي أمر حفلته، لكنه يهبنا مع حضور كل كاتب (أو كاتبة) منهم قدراً غير قليل من نشوة القراءة وعافيتها.

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

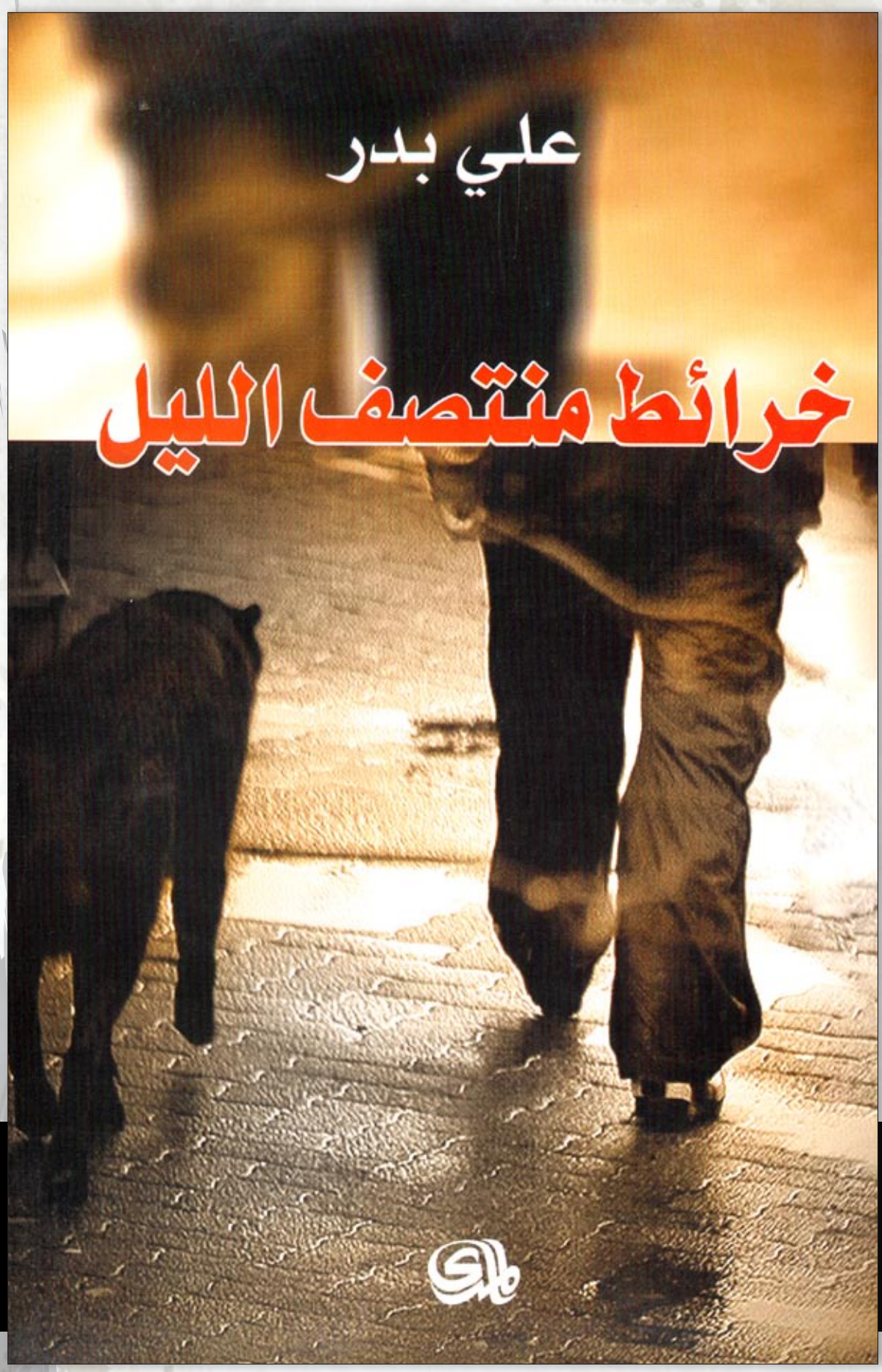

خرائط منتصف الليل هو الكتاب الفائز بجائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي، وقد ترجم العديد من اللغات الأجنبية، هو كتاب رحلات إلى اسطنبول وطهران والجزائر وأثينا وقبرص وباريس، وهذه الرحلات كما يريدها كاتبها "تمرين حي على الشعر.. وهي تجديد وانبعاث للجسد مثلما يجدد الشعر بفعالية جسد اللغة ويمنع عنها التكلس والموت. أما الرحالة فهو شاعر تائه تسيطر عليه فكرة عمر الإنسان وعمر الأرض، مكتشف رائد، مليء بالأسرار،إنه مثل الشاعر متوحش قليلاً، وحيواني أيضاً لأنه يفترس الجمال بنهم مثل حيوان جائع.."

علي بدر..

روائي عراقي، فازت روايته "بابا سارتر" بالعديد من الجوائز وترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية.

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | نزار عبد الستار الاخراج الفني | مصطفى التميمي التصحيح اللغوي | عبد العباس امين

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون